

الفصل الأول : أدباء المهجر الشمالي

١- أدباء المهجر الشمالي والتجديد فى الأدب العربى الحديث.

حمل شعراء المهجر - خاصة شعراء الرابطة القلمية - راية التجديد لتجاوز القيم الفنية لمدرسة الإحياء والبعث فى شعر البارودى وشوقى وحافظ وغيرهم، الذين آمنوا بالقيم الفنية للقصيدة التراثية نموذجاً فنياً يحتذى به وقد حافظت هذه المدرسة على الديباجة العربية، لمكونات القصيدة من حيث الألفاظ، والمعانى، والصور، والإيقاع الذى اعتمد على الوزن الخليلى ممثلاً في وحدة الوزن والقافية، أما شعراء المهجر فقد تبنى كثير منهم الاتجاه الرومانسى اتجاهاً فنياً، وقد تشابهت ظروف هؤلاء مع ظروف الأدباء الذين انتهجوا المذهب الرومانسى، فقد نشأ الاتجاه الرومانسى فى فرنسا كرد فعل للثورة الفرنسية التى أثارت ضمائر البشر، واعترفت للفرد بحقوقه، فأخذ يتغنى بذاته، معتزلاً بها، معبراً عن أحزنها، وأشجانها، فى عالم تضيع فيه المبادئ والقيم، وتجهوا إلى الطبيعة علمهم يجدون فيها الملجأ والملاذ، لتحقيق أحلامهم التى ضاعت فى عالم الواقع، كذلك الشاعر المهجرى فقد ربح تحت وطأة الاستعمار والفقر والتخلف، وفر بعيداً عن هذا الوطن الذى لم يجد فيه الراحة والأمان، إلى عالم غريب وجد فيه الوحشة، وافتقد رابطة الألفة بينه وبين العالم المحيط به، فلم يجد هؤلاء فى غربتهم سوى البكاء والحنين إلى أوطانهم، متخلين فيه تارة - وفى الغاب تارة أخرى - العالم المثالى الذى تتوق إليه أنفسهم.

وقد تبنى شعراء الرابطة القلمية هذه القيم الفنية الرومانسية ، في الثورة على القديم ، والبحث عن الجديد، والإيمان بقدرات الفرد وحرية ، والتخليق في عالم الخيال ، بحثا عن عالم مثالي، وهذه ملامح المذهب الرومانسي، فهو "مذهب عاطفي يتغنى بآلام الإنسان ، وأحيانا بمسراته، وهو أدب شخصي يهتم بمشاعر الفرد الخاصة ويترنم بها، ولهذا يكثر فيه التغنى بجمال الطبيعة، التي يتعزى بجمالها الناس عن آلام الحياة، فالطبيعة عند الشاعر الرومانسي معبد يأوى إليه ليستجم عندما تقسو الحياة..." (١).

وقد رأت د. نادرة سراج أن هؤلاء تأثروا بمذهب الترانسندنتلزم *Transcendentalism* وتعنى هذه الكلمة العناية بكل ما روي والسمو الروحي إلى آفاق علوية، ومعاونة كل من يعيش بالروح، والتسامي والعلو الذي اتسمت به هذه الحركة ، التي يقول مؤرخو الآداب عنها إنها مظهر لاحق لحركة الرومانسية الأوروبية نفسها" (٢).

وهذه الحركة كانت تدعو إلى السمو الروحي، وكانت تشجع الفرد على بعث قدراته وإمكاناته، وناعت هذه الحركة التي تزعمها إمرسن في الأدب الأمريكي وكانت لهم مجلة تسمى المزالة *Dail* يكتبون فيها عن آرائهم التحريرية وقد عرفوا بحب الحرية، والأمل في التقدم الاجتماعي، وكانوا يتطلعون إلى المستقبل، والاندماج بالطبيعة ، والدعوة إلى الحياة البسيطة في أحضانها، وأهم قطعة كتبها إمرسن كانت بعنوان الطبيعة وهي من الشعر المنثور... إلخ (٣).

1 - د. محمد مندور: في الأدب والنقد ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع د.ت ص ١٠٣.

2 - د. نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية ص ١٠١.

3 - م. نفسه ص ١٠٢.

وإن كنا نجد كثيراً من هذه الملامح الفنية عند شعراء الرابطة القلمية ، والتي تتلاقى في كثير منها مع النزعة الرومانسية ، ولكن كما يقول عدنان يوسف سكيك يصعب تحديد "اتجاهات هذه الجماعة الأدبية والفكرية ، لأنها متعددة الجوانب والأصول اللاهوتية في الشرق والغرب، ولكن أبرز الاتجاهات التي تأثرت بها هذه الحركة هي:

الرومانسية في الأدب ، والمثالية الأفلاطونية...مع أخلاط من آراء البوذيين والصوفيين في مجال الروح"^(١).

نوجز هذه الملامح في الحرية والانطلاق والثقة في قدرات الفرد ، والسمو النفسي والأخلاقى ، والاندماج بالطبيعة ، التي قد يجد فيها الشاعر بديلاً لعالم متخيل بعيداً عن عالم الواقع بأدراجه، وهكذا نجد أثر العامل الثقافي والتأثر بالأدب الغربى - وليس هذا عيباً ولكن التأثير والتأثر ظاهرة أدبية لها إيجابياتها- لا بالصورة المستنسخة - ولكن من منطلق الإفادة من أدب الغير ، وكان هذا العمل (الثقافى) أهم العوامل التي برز بها د.محمد مندور لتفوق هؤلاء الشعراء ، وتحقيق وثبة تقدمية في تاريخ الأدب العربى ، فأضاف إلى جانب عامل الطبيعة الساحرة التي تلهب الخيال ، والاستعداد النفسى للمغامرة عنهم، ولكن السبب المهم عنده أنهم "قد أمعنوا النظر في الثقافات الغربية التي لاغنى لنا اليوم عنها، وعرفوا كيف يستفيدون منها بعد أن هضموها في لغاتها الأصلية"^(٢).

1 - عدنان يوسف سكيك: النزعة الإنسانية عند جبران ط الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧١ ص ٣٩: ٤٠.

2 - د.محمد مندور : في الميزان الجديد ط.دار نهضة مصر د. ت ص ٦١.

ومما يدل على ذلك ما نجده في إبداعاتهم الشعرية ، وكتابتهم باللغة الإنجليزية (كتب جبران ثمانية كتب باللغة الإنجليزية (منها النبی، المجنون... إلخ) وكتب ميخائيل نعيمة (مراد) باللغة الإنجليزية، وكان جبران يكتب في مجلة النجوم السبعة التي كانت تصدر باللغة الإنجليزية، أكثر من ذلك ترجم بعضهم عن لغات أخرى كنظير زيتون عن اللغة الروسية، وترجم شفيق معلوف عن كاسترو؛ ألفيس الشاعر البرازيلي قصائد الشلال ، ومنزل الآباء، والعبقرى، وعن شاعر البرازيل البير سامان قصيدة الرضيع، وعن الشاعر الفرنسي شارل كودان ألعانة، وعن الشاعر الفرنسي لويس كارلوس دافونسيكا قصيدة يد الأمل^(١).

وترجم نسيب عريضة الصمت ليتوكشف، والنوم والمنية لسولوكوب الرئسي أيضاً، وجمع أمين الريحاني في كتابه (وجوه شرقية وغربية) مقالات عن شكسبير وفولتير^(٢)، وترجم إلياس أبو شبكة سقوط ملاك *La chate d unange* للامرتين وقال في المقدمة إن هذه القصيدة تتفق مع روح الشرق^(٣).

نستخلص مما سبق أن شعراء المهجر استفادوا من الثقافة الغربية وجاءت نتيجة هذه الاستفادة - كما سنرى - التجديد في شعرهم فكراً ومضموناً وشكلاً وقد عبروا صراحة عن رؤيتهم الجديدة لفهومهم الأدب في صورته التجديدية التي تعد طفرة عظيمة القيمة في تاريخ الأدب العربي.

1 - راجع: شفيق معلوف: ديوان سنابل راعوث ط مجلة شعر عام ١٩٦١ ص ٤٧ و ٢٩ و ١٦٠ و ٥٧ و ٩٣ و ٢٠٧.

2 - راجع: أمين الريحاني: وجوه شرقية وغربية ط دار ریحانی للطباعة والنشر عام ١٩٥٧ ص ١٠٣.

3 - راجع: إلياس أبو شبكة: مقدمة ترجمة سقوط ملاك ط دار صادر بيروت عام ١٩٢٧ ص ٧.

نادى أمين الريحاني بتجاوز النهج القديم ومعايشة العصر، فأوصى الشعراء بقوله "حرروا صناعتكم من قفا نيك وسائق الأظعان، إن عندكم اليوم الطيارات لتسوقوا النجوم" (١).

ونادى بتجاوز أغراض الشعراء المستهلكة، كالفخر، والهجاء، والرثاء والخمريات، ومدح الشعر التأملي، فمدح شعر المتنبي، والمعري، وابن الفارض وطمح أن يكون الشعر إنسانياً، وكان أول من كتب الشعر المنشور، وقد اقتدى خطاه من بعد جبران.

وكان جبران متمرداً على كل شيء، على الأوضاع الاجتماعية والدينية التي تأسر حرية الفرد، ونادى بالتححرر والانطلاق والتسامي، وجاء أدبه معبراً عن ثورته وأعلن أن الشعر ينبغي أن يكون معبراً عن النفس - في صدق - بعيداً عن التكلف قال مخاطباً الشعراء "ليكن من قصائدكم إخصوصية... فخير لكم وللمغة العربية أن تبنوا كوخاً حقيراً من ذاتكم... من أن تقيموا صرحاً شاهقاً من ذاتكم المقتبسة.. ليكن لكم من عزة نفوسكم زجراً عن نظم قصائد المديح والرثاء والتهنئة، فخير لكم وللمغة العربية أن تموتوا مهملين من أن تحرقوا قلوبكم بخوراً أمام الأنصاب والأزلام" (٢).

والشعر عنده ليس كلاماً موزوناً مقفى، ولكنه تعبير جميل عن شعور صادق، عرف الشعر بقوله "الشعر... روح مقدسة متجسمة من ابتسامته تحيي القلب أو تنهيدة تسرق من العين مدامعها، أشباح مسكنها النفس، وغداؤها القلب

1 - أمين الريحاني: أنتم الشعراء بيروت عام ١٩٣٣ ص ٨٩.
2 - محيي الدين رضا: بلاغة العرب في القرن العشرين القاهرة ١٩٢٤ ص ٨٣.

ومشربها العواطف، وإن جاء الشعر على غير هذه الصور، فهو كمسيح كذاب نبذه أوفى" (١)

وقريب من هذه الرؤية يقول ميخائيل نعيمة: "العواطف والأفكار هي كل ما تعرفه النفس، فالشعر إذن هو لغة النفس، والشاعر هو ترجمان النفس" (٢).

ومن هذا التصور جاء رفضه للتكلف، لأنه مناف للصدق، فقال "أدر كنا - بفضل الغرب - أن نظم الشعر ممكن في غير الغزل والنسيب، والمدح، والهجاء والوصف، والفخر والحماسة، لذلك أطربتنا نغمة بعض الحديثيين الذين تجاسروا أن يتعدوا هذه الحدود المقدسة" (٣).

ولم تكن آراء مخائيل نعيمة - كغيره من أدباء المهجر - منفصلة عن إبداعه الشعري، الذي جاء "كله خواطر نفسية وتأملات فلسفية، وأفكار في الزهد والصوفية، وحتى في وصفه للطبيعة، فهو ميل إلى المعنويات والروحانيات لا يعرف الوصف المادي، أو الحسي، فالطبيعة - عنده - كائنات حية، يتجاوب معها، ويهمس إليها... ويخيل إليه أنه يسمع جوابها فيعود إلى الهمس من جديد ومن هنا جاء ديوانه همس الجفون، مطابقا لمحتوياته، هي همسات بينه وبين نفسه، وبينه وبين الطبيعة الصامتة حوله" (٤).

وقريب من مثل هذه الرؤى السابقة، عبر الشاعر إيليا أبو ماضي عن منهجه الشعري (شعرا) فقال:

أنا ما وقفت لكى أشبب بالطلا
ما لى وللتشبيب بالصهباء

1 - جبران خليل جبران: دمعة وابتسامة ص ٦١، نقلا عن عدنان يوسف سكيك: النزعة الإنسانية عند جبران

ص ٦٧.

2 - ميخائيل نعيمة: الغربال دار صادر بيروت عام ١٩٦٠ ص ٩٢.

3 - م. نفسه ص ١٨٤.

4 - د. نادرة جمل سراج: شعراء الرابطة القلمية ص ١١٥.

لاتسألونى المدح أو وصف الدمى انى نبذت سفاسف الشعراء
وقال في موضع آخر:

لست منى إن حسبت الشعر أفاظا ووزنا
خالفت دربك دربى وانقضى ما كان منا
فانطلق عنى لئلا تقنتى هما وحرنا (١)

وأشاد نعمة قازان الشاعر المهجرى الجنوبى بدور العاطفة في الشعر فقال:

إذا قام شعر بأفاظه تكون القواميس خير الكتب

كل ذلك دفع بالدكتورة نادرة جميل سراج أن تقول "واضح أن مدرسة الرابطة القلمية هى أول مدرسة في الأدب الحديث استطاع أعضاؤها أن يخرجوا دواوين من الشعر الصادق، والمعبر عن نفوس أصحابه، وما يصدر من خواطر وأفكار وتأملات في الحياة والطبيعة، وما يحيط بهم من أحداث، وما تنبض به قلوبهم من آمال وآلام" (٢).

ودفع يعيسى الناعورى إلى القول "بالإجمال كانت المدرسة المهجرية المتحررة جديدة، لم يألفها الشرق العربى المحافظ، ولاغرابة في ذلك، فهى خلاصة العناصر القوية الحية في روحانية الشرق مسكوبة في أحداث قالب وأروع من رومانسية الغرب العصرية الزهية، وقد وفق المهجريون بطريقة فذة ساحرة وتركوا أعظم الآثار، وأجلها خطراً" (٣).

ورأى د.شوقى ضيف أنهم مجددون بالمعنى الواسع لكلمة التجديد مجددون في أساليبهم، ولغتهم، ومجددون في الموضوعات التي يطرقونها، ونكاد

1 - ايليا أبو ماضى: ديوان الجداول ص ٤.
2 - نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية ص ١١٥.
3 - عيسى الناعورى: أدب المهجر ص ٧٣.

نقول إنهم مجددون في الشكل الخارجي - أيضا - بما ينوعون في أوزان القصيدة الواحدة وقوافيها، وبما يستعملون من لغة مألوفة، وليس هذا كل ما نجده في دواوينهم، فنجد عندهم - أيضا - تفكيراً فيما يمكن أن نسميه الفلسفة الكونية إذ يشغلون - دائماً - بالتفكير في الخير والشر والصراع بينهما^(١).

هكذا جاء التجديد في إبداعات أدباء المهجر في الموضوعات الفنية، وفي الأسلوب والموسيقى والقافية، ومن البداية جاءت عناوين دواوينهم معبرة عن هذا التجديد (همس الجفون الأرواح الحائرة الجداول إخمائل أغاني الدرئيش... إلخ) وكثرت في أشعارهم التأمل الفلسفي، والنزعة الإنسانية، والتطلع إلى عالم مثالي وجدوه في أحضان الطبيعة، والتغنى بالوطن ومآثره، والتوق إلى ترابه. ونقف على التجديد في الأطر الآتية:

✓ التجديد في الموضوعات:

✓ التأمل الروحي والفلسفي:

يكثر في شعر شعراء الرابطة القلمية - وتابعهم بعض شعراء المهجر الجنوبي - التأمل في النفس والروح والحياة، وتساءلوا عن النفس من أي شيء خلقت؟ وإلى أي مدى ستمضي؟ وما العلاقة بين الروح والنفس؟ وبين القلب والجسد؟ وما العلاقة بين الخير والشر؟ كل هذا في صورة من التفلسف، ولكن لا يعني هذا أننا نتلمس فلسفة لذاتها في الشعر المهجري، لأن نسيباً لم يقل شيئاً في النفس، ولأن أبا ماضي لم يأت بطريف أفكاره عن الزمن، ولكن هذا الشعر في أكثره قائم على نوع من الحقيقة الفلسفية، أو النظرة المتفلسفة^(٢).

1 - راجع: د. شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر دار المعارف ط ٨ دت ص ٢٤٦: ٢٥٠.

2 - راجع: د. شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر دار المعارف ط ٨ دت ص ٢٤٦: ٢٥٠.

التأمل في النفس وطبيعتها نجده عند كثير من شعراء المهجر خاصة عند شعراء الرابطة القلمية، نجده عند إيليا أبا ماضي في قصيدة (الطلاسم).

وعند ميخائيل نعيمة في قصيدة (من أنت يا نفسي)^(١).

فقد راح نعيمة في هذه القصيدة يبحث عن نفسه في ظواهر الطبيعة والكون (الموج، الرعد، البرق، الفجر، الشمس، الألحان... إلخ، وينهى القصيدة بأن النفس فيض من الله، يقول في مفتحتها:

- إن رأيت البحر يطغى الموج فيه ويثور
- أو سمعت البحر يبكي عند أقدام الصخور
- ترقبى الموج إلى أن يحبس
- الموج هديره، وتتاجى البحر حتى
- يسمع البحر زفيره
- راجعا منك إليه
- هل من الأمواج جئت؟!

ويستمر في تساؤلاته المحيرة عن طبيعة النفس، هل من البرق انفصلت؟! أم من الريح ولدت؟! أم من الفجر انبثقت؟! أم من الشمس هبطت؟! أم من الألحان جاءت؟! لينتهي بقوله إنها فيض من الله:

- إيه نفسي! أنت لحن في قد رن صداه
- وقعتك يد فنان خفى لا أراه
- أنت ريح، ونسيم، أنت موج، أنت بحر

1 - د. إحسان عباس ود. محمديوسف نجم: الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية) ط دار صادر بيروت دت ص ٤٠.

- أنت برق، أنت رعد، أنت موج، أنت ليل، أنت فجر
- أنت فيض من إله

فنسيب عريضة من أشد الشعراء المهجريين بفكرة النفس الهابطة من عالم النور، وهذه النفس تحن إلى السماء التي هبطت منها، ونظرية فيض النفس من الله نظرية يونانية قديمة، نادى بها أفلوطين فيلسوف الإسكندرية، ومن بعده الفيلسوف العربي ابن سينا^(١).

أعتقد من الدوافع التي دفعتهم إلى التأمل في نفوسهم شعور الغربة والوحدة وافتقاد الأهل والصديق والأليف والحبیب ، لقد أعطاهم هذا وقتاً للتأمل والتفلسف منصرفين إلى نفوسهم يبتثونها أفكارهم، فهذا جبران يتحدث إلى نفسه، مبرهنًا على خلودها:

يانفس لولا مطمعى بالخلد ما كنت أعى

لحنا تغنيه الدهور

يانفس إن قال الجهول النفس كالجسم تزول

ومما يزول لا يعود

قولى: إن الزهور تمضى ولكن البذور

تبقى وذا كنهه الخلود^(٢)

والدارس لشعر المهجر - خاصة شعراء الرابطة القلمية - يلاحظ ما من شاعر إلا وله قصيدة في النفس، ماهى؟ ما كنهها؟ وما مصيرها؟ وهل هى خالدة أم

1 - راجع: إيليا أبو ماضي: ديوان الجداول ط.مرآة الغرب عام ١٩٢٧ القصيدة ص ٨٩ وما بعدها.

راجع: ميخائيل نعيمة: ديوان همس الجفون ط ٢ دار صادر بيروت عام ١٩٥٢ ص ١٦ وما بعدها.

2 - راجع: دناردة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية ص ١٢٤.

فانية؟ وهل هبطت من السماء فدات الجسد؟ ومتى هبطت؟ حتى أن الشاعر إيليا
أبا ماضي يعرف الشاعر بقوله:

هو من يسائل نفسه عن نفسه صبحه ومسائه
ومن القضايا التي اتخذت طابعا فلسفيا في شعر شعراء الرابطة القلمية
قضية الخير والشر، والسؤال الذي طرح نفسه إذا كان الله خيراً كله فمن أين يأتي
الشر؟!

في تناولهم لهذه القضية نجدهم يؤمنون بالنظرة الرومانسية التي تقول إن
الخير لا يرى إلا من خلال الشر، وهي فكرة بويمه Behme الذي كان يقول في تفسير
ظاهرة الشر في الوجود: إن الله قسم إرادته قسمين: نعم، ولا، وكل الطبيعة ترمى
لتحويل الإرادة التي تقول (لا) إلى الإرادة التي تقول: نعم، وعند هؤلاء الرمانطيين
أن الشيطان هو الذي عرفه فاوست بقوله: إنه الروح التي تقول - دائماً - لا^(١).

وقد نظر ميخائيل نعيمة للخير والشر نظرة توفيقية، فكلا من الخير والشر
محتاج إلى الآخر، وجود الشر ضروري لمعرفة الخير، يقول في قصيدة (الخير والشر):

سمعت في حلمي ويا للعجب سمعت شيطاننا يناجي ملاك
أليس أنا توأمان استوى سر البقا فينا وسر الهلاك
ألم نصنع من جوهر واحد إن ينسئ الناس زمان قديم... إلخ^(٢)

1 - جبران خليل جبران: البذائع طبعة سعود دلول عام ١٩٥٥ ص ٩٤.
2 - د. إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية) ص ٥٦.

وإذا كان الخير والشر من الثنائيات ، فإلى أي أحدهما نميل؟!

وجاءت رؤية ميخائيل امتداداً للقلق والحيرة التي اتصف بهما فكره ، وفكر غيره من شعراء المهجر، فالخير والشر ضروريان في الحياة، ولاتسير إلا بهما وما الاختلاف بينهما إلا اسماً فقط، نقول على هذا خير، وعلى الآخر شر فميخائيل في قصيدة العراك، يتخيل شيطاناً يدخل قلبه فيرى فيه ملاكاً، ويدور بينهما عراك، فيقف حائراً ، ويتساءل في شك وارتباك:

لست أدري أرجيم في فؤادي أم ملاك (١)

وتتساوى الأشياء - ومنها الخير والشر - عند إيليا أبو ماضي لأن المتناقضات تعبر عن شيء واحد، فيستوى الجمال والقبح، والكمال والنقص والشوك والزهر... إلخ، يقول في قصيدة الأسطورة الأزلية:

لكنهم لما اضمحل الدجى لم يجدوا غير الذى كانا
هم حددوا القبح فكان الجمال وعرفوا الخير فكان الصلاح
وليس من نقص ولا من كمال فالشوك في التحقيق مثل الأفاقي
وذرة الرمل ككل الجبال والذى عز كالذى هانا... إلخ (٢)

وينقد الدارسون هذا التصور (تساوى الثنويات) ، ويتساءل بعضهم لماذا اتخذ إيليا الغاب صورة للكمال؟! وإذا كان الخير والشر ، أو الشوك والزهر مسميات لمفردات، فما قيمة العمل الإنساني على الأرض؟! وما قيمة ما يسميه الناس

1 - ميخائيل نعيمة: ديوان همس الجفون ص ٦٤.

2 - راجع: م. نفسه ص ٩٦ وما بعدها.

ضميراً؟! عندما لا يكون في الحياة إلا شيء واحد ، يبطل الاختيار، وإذا لم يكن هناك اختيار، بطلت قيمة الإرادة الإنسانية^(١).

ومن تأملات المهجريين التي اتخذت طابعاً فلسفياً الصراع بين العقل والقلب، وقد أعطى الفلاسفة العقل مكان الصدارة، ولكن مع تقدم الأيام أخذ القلب في صراع مع العقل، عندما أصبح العقل رمزاً للتقدم العلمي، وأصبح القلب رمزاً لقوى الإيمان، التي تقى الإنسان من ضراوة العلم، الذي أمات المشاعر والأحاسيس، وقدم الرومانسيين القلب على العقل، فالإنسان يعيش بمشاعره، أحاسيسه، لا بالمقاييس والمنطق، غير أن المهجريين "كانوا إذا صوروا هذا النزاع المستحکم بين القلب والعقل، عنوا به العراك بين العاطفة التي سيرها الخيال، وبين الأحكام التي يواكبها المنطق، بين حرارة الشباب، وبرودة الشيخوخة، وبين الدين القائم على المحبة، والعلم القائم على التفكير، بين التلاقى بين المشاعر والتعامل بالأرقام"^(٢) وكان إيليا أكثر الشعراء الذين أشار انتباههم هذا الملمح، وإن اتخذ صورة حيادية في قصيدة (بين مد وجزر)^(٣).

فالقلب في مرحلة الشباب زين له الحياة ونبهه إلى أعماق الجمال الكامن في الطبيعة والحياة:

وإذا الرمال أزاهر فواحة والشط هيكل شاعر فنان
وإذا العباب ملاعب ومراقص وإذا أنا من صبوة وغرام... إلخ
ومع تقدم العمر سلم نفسه للعقل، فأراه الجانب القبيح للحياة، وجعله عبداً للمال، فتضايق القلب، وحن إلى أحلامه التي كان يرى فيها القفر ضاحكا

1 - راجع إيليا أبنا ماضي : ديوان الخمائيل ط دار صادر بيروت دت القصيدة ص ١٢٩ وما بعدها.
2 - راجع د. إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية) ص ٥٢.
3 - د. إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية) ص ٥٩.

والجداول مناسبة فى أنعام ، والأحلام الوضيئة تجعل لحياته مذاقاً وطعماً، فسكت
عند هذا الحد، وطلب عونة القلب، التي أصبحت أمراً عسيراً، فشعر بأن الإلهام
قد توقف، وأنه عاجز عن إبداع الشعر، فقال:

لا تسألونى عن قيثارتى قيثارتى خشب بلا أنعام
وقد عكس هذا الشعور فى قصيدة (الكمنجة المحطمة)^(١).

والتي يرثى فيها لنفسه الشاعرة ، لحظة خيبة العقل واستحالة رجوع
القلب، وهذه القصيدة تعبر عن لحظة صادقة عاشها الشاعر مع نفسه
المحطمة التي تشبه الكمنجة المحطمة:

لا حس فى أوتارها لا شوق فى أضلاعها ، لاحسن فى باقيها
فارزح بحزنك يا حزين فإنها لا تنتشر الشكوى ولا تطويها
أما ميخائيل نعيمة فقد انقاد للعقل حين شعر بنار الوجد انطفأت فى قلب
إلى الأبد، فأخذ يتأمل بفكره فى الوجود الواقع، بصورة منطقية، يقول فى قصيدة
أفاق القلب.

رحت أجوب ما استترا من الدنيا وما ظهرا
وأبحث فى غبار العيش عن خزف وعن صدف

أراه بفكرتى ————— فى دررا

ورحت أقيس أيامى وأعمالى وأحلامى
وما حولى ومن حولى وما تحتى وما فوقى

و بأفكارى وأوهامى... إلخ^(٢)

1 - إيليا أبو ماضى: ديوان الخمائل ، قصيدة بين مد وجزر ص ١١٩ وما بعدها.
2 - إيليا أبو ماضى: ديوان الجداول ط.مرأة الغرب نيويورك عام ١٩٢٧ ص ٣٨ وما بعدها.

غير أن قلبه سرعان ما انتفض ، وأخذ يقبل على الحياة ، فأقبل على ما شيده العقل فحطمه، وعاش حياة الشعور والنبض والجمال الرئحى.
وعند نسيب عريضة في قصيدة (القفر الأعظم)^(١) يظهر التردد والحيرة بين الانقياد للقلب ، أو الانقياد للعقل ، فعندما يركن الإنسان لأحدهما يجد قصوراً وضلالاً ، أسلم نفسه للقلب ، فقدم إ الخير كل إ الخير للناس ، ولكن لم يجد من يقدر هذا، ووجد الإنكار والجحود:

فلم يلبب نـدائى سوى الصدى في الفضاء
وظل القلب يصارع في البقاء بعبائه، إلى أن جاء العقل واستل سيفاً
وضرب القلب به، وأخذ يقود القافلة، فضج الـركب:

فضج الـركب وصاحوا يا عقل أين المناهل
ويؤخذ على الشاعر أنه جعل الصراع بين العقل والقلب صراعاً دموياً
رغم أنهما يعبران عن مراحل عمرية في حياة الإنسان، وأنهما يكمل كلاهما الآخر
في مسيرة الحياة.

ولم يقتصر التأمل في أدب المهجر على الشعر، ولكن وجدناه في الإبداع
النثري، خاصة عند الريحاني في ريحانياته، حيث زُوج بين الشعر والنثر، وكان
مههداً لنشأة قصيدة النثر في بداية الخمسينيات على أدونيس وأنس الحاج ومحمد
الماغوط، يقول مخاطباً الأمواج على رمل الإسكندرية:

إيه أيتها الأمواج إخالدة إكم شاهدت من أمواج الإنسانية ومن بحورها
الفانية! أمام عيونك الزرقاء ، وفى ظل ابتسامتك الفضية، كم تبخر بحر، وكم تبدد

1 - ميخائيل نعيمة: همس الجفون ص ٥٥ وما بعدها.

ت تحت أمواجك موجة هادرة، شامخة... من مزرب زهبيية ، في بساتين من النور الأزلي الروحاني.... لاتعجبي من هياج هذا الإنسان واضطرابه، فما هو سوى طوائف من الأسماك والحيوانات البحرية، تختبط في بحر من النفس لا يرى... أيتها الأمواج الناطقة بلسان الفناء والأزل ، الحاملة إلينا نبأ من الموت ونبأ من الخلود إن بحر الإنسانية ليفيض وينضب ، وليزيد ويهيج، ليهدأ أو يتبخر ويتلاشى، وأنت إلى الأبد في أعين الشمس والأقمار، تشاهدين أباطيل هذا الزمان، كما شاهدت أباطل الأزمنة الغابرة^(١)...

أمواج البحر المتتالية والمتابعة تحكى أقصيص وأهازيج لأخبار من ماتوا على كفها، ومن تمتع بامتطائها، البحر سيزل في خلونه معبراً عن توالي الأيام وتتابعها، كتوالي أمواج البحر وتتابعه ، على خلاف حركة حياة البشر تفتقد الخلود والبقاء.... إلخ.

وهكذا - كما يرى عيسى الناعوري نرى الأدباء المهجريين في تأملاتهم "يتجردون من طبيعة الطين، ويسمون فوق الحياة وفوق البشر يحلون النفس الإنسانية ويصورونها بدقة، ويحاولون إمطة اللثام عن أسرار الحياة ، وفي كثير من التأملات العميقة يحدهم الشك... ولكنه الشك لباحث عن الحقيقة ، المتطلع إلى تحقيق مثل إنسانية عليا خالدة... لذلك نستطيع أن نقول إن الأدب العربي لم يعرف الأدب التأملى... كما عرفه أدب المهجر"^(٢) .

1 - نسيب عرصة: ديوان الأرواح الحائرة ط. نيويورك دت ص ١٦٨ وما بعدها.
2 - راجع: عيسى الناعوري: أدب المهجر ص ٩٤: ٩٥ - ٣٥ - م. نفسه ص ٩١.

النزعة الإنسانية

النزعة الإنسانية أساسها القيم المنتزعة من تجارب الناس، وتقوم على العلاقات بين الناس بعضهم مع بعض، والعلاقات التي تقوم بين الإنسان والطبيعة^(١).

فالإنسانية في مفهومها العام نظرة واسعة للحياة والوجود، ومن عانى هذه الإنسانية فيما يتعلق بالجنس البشرى نشرا لمبادئ السامية والمثل العليا بين الناس، ومحاربة النظم التي تباعد بين الإنسان وأخيه، والعمل على خلق مجتمع مثالي يسوده العدل والرحمة والمحبة، وعلى تخفيف الشقاء الإنساني، وتصوير الحياة بصورة محببة إلى النفوس، أو هو بكلمة أخرى: المحبة الصحيحة لكل ما في الوجود، بغير تفضيل أو تفریق^(٢).

الدعوة إلى الأخوة والمحبة والتراحم والسلام بين البشر جميعا، مهما اختلفت الأهواء والأيول، والديانات، والسياسات، والقوميات مبادئ يتصف بها أدب المهجر، يقول أحدهم:

ونفس لم يشرق الحب فيها هي نفس لا تدرى ما معناها
أنا بالحب قد وصلت إلى نفسي وبالحب قد عرفت الله
ويقول آخر متجاوزاً حدود الديانات سواء السماوية، أو اجتهادية:
إذا سألت عن نسبي فأني مسيحي أحمدى بوذى يهودي^(٣)

-
- 1 - راجع: اليزابيث دور: الشعر كيف نفهمه ترجمة محمد إبراهيم الشوش، منشورات فرانكلين، بيروت نيويورك عام ١٩٦١. ص ٢٨.
 - 2 - راجع: عيسى الناعوري: أدب المهجر ص ٩٧.
 - 3 - راجع: د. محمود حامد شوكت ودرجاء محمد عيد: مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر ط. دار الجيل للطباعة دت ص ١٩.

ويكثر في أشعارهم - خاصة شعراء الرابطة القلمية - النداء بأخي ، ورفيقي
وليخائيل نعيمة قصيدة بعنوان (أخي) قالها بعد الحرب العالمية الأولى وقد نفض
فيها يديه من أمل الرجوع ، بعد افتقاده الأمل في صحوة عربية، يقول فيها:

أخي إن ضج بعد الحرب غربي بأعماله
وقدس ذكر من ماتوا وعظم بطش أبطاله
فلا تهزج لمن سادا ولا تشمت لمن دانا
بل اركع صامتا مثلي بقلب خاشع دامى
لنبك حظ موتانا إلخ

ويكرر فيها أخي غير مرة (أخي إن عاد ... أخي من نحن ... أخي إن
راح...) (١).

ويكثر في شعر إيليا أبي ماضي النداء بأخي ورفيقي ، كقوله في قصيدة
(الطين):

يا أخي لاتشج بوجهك عنى ما أنا فحمة ولا أنت فرقد
ويقول في مفتتح قصيدة (الفاحة):
يارفيقي أنا لولا أنت ما وقعت لحننا (٢)
ويقول نسيب عريضة:

يارفيقي على طريق الحزانة سر فإن القضاء أقصى مدانا
ويقول ندره حداد في قصيدة سر معي:
ياأخي الساعى لنيل المجد خفف عنك جمحك (٣)

1 - راجع ميخائيل نعيمة: همس الجفون ص ٤١ وما بعدها.
2 - راجع إيليا أبي ماضي: ديوان الجداول ، قصيدة الطين ص ٢٣ وقصيدة الفاتحة ص ٤.
3 - ندره حداد: ديوان أوراق الخريف ط نيويورك عام ١٩٤١ ص ١٧ .

لقد أملت عليهم حياة الغربة ومعاناتهم المادية الدعوة إلى الإحسان
والبذل، فالمال شيء زائل، ويبقى الحب بين الناس، فهذا إيليا أبو ماضي يظهر

امتعاضه وحسرتة من الأغنياء الذين لا ينفقون على البؤساء والمحتاجين، يقول:

كلوا واشربوا أيها الأغنياء وإن ملاً السكك الجائعون
ولا تلبسوا الخبز إلا جيّداً وإن لبس الخرق البائسون.. إلخ^(١)

ويعرض ندرّة حداد بالبخلاء، ويقرّر بأن المال عرض زائل، ولا يبقى إلا ما

ينفقه المرء، ويتصدق به، يقول في قطعة بعنوان (أنفق فضول مالك):

أنفق فضول المال حيا تتل شكر الذي أثريت من فقره
فحاتم ما عاش في عصرنا لو لم يجد بالمال في عصره... إلخ^(٢)

وفى قصيدة (في خلوتي) يذم الأغنياء، الذين لا ينفقون، ويذكرهم

بأن الدنيا مجرد رحلة، وسيحاسبون على بخلهم، ويمزج إيليا أبو ماضي بين

النزعة الإنسانية وتأمله في الطبيعة، فالطبيعة في نفعها للبشر لا تفرق بين غنى

وفقر ولا تميز بين جنس وآخر، بل تسطع شمسها للناس جميعاً، وتمنحهم ثمارها

جميعاً، لذا يجعلها دينه الذي يؤمن به، لإنصافها وعدالتها، يقول:

وديني الذي اختار الغدير لنفسه ويا حسن ما اختار الغدر وما أحلى
تجىء إليه الطي عطشى فترتوى وإن وردته الإبل لم يزر الإبل... إلخ^(٣)

1 - راجع: نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية ١٤٦.
2 - ندرّة حداد: ديوان أوراق الخريف ص ١١٦.
3 - راجع: د. نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية ص ١٥١.

وحفل نثرهم بالحديث عن الحب، الحب الإنساني الذي ينعش القلوب ويهذب النفوس، ويستشرق الجمال في كل أرجاء الكون، يقول جبران في كتابه دمعة وابتسامة"أنت أخی ، وكلانا ابن ریح واحد قدوس...وأنت رفیقی على طریق الحياة...أنت إنسان ، وقد أحببتك یأخی ، خذ منی ما شئت...أنت أخی وأنا أحبك" ويقول – أيضا – "لقد أحببتكم كثيراً وفوق الكثير، ففي ربيع قلبي كنت أترنم في جنانكم،...قد أحببتكم جميعا جباركم وصلوكم ، أبرصكم وصحيحكم،...أحبتك أيها القوی مع أن آثار حوافرك لاتزل ظاهرة في لحمی، وأحبتك أيها الغنی في حين أن عسلک كان علقما في فمی ، أحبتك أيها الفقير مع أنك عرفت عاری وفراغ ذات یدی....(١).

ويقول ميخائيل نعيمة في فصل(إخوة غريباء) من كتاب صوت العالم "أدرکت یأخی أننی ما خطوت خطوة في حياتی إلا كانت یدک في یدی، وساعدی إلى ساعدک، وکتفک إلى کتفی...وأننی حییت لابما في وحدتی من حياة ، بل مما فيک من حياة...وهاأنذا أستغفرک جميع ذنوبی إليك – ما أكثرها- فهلا غفرت"(٢).

التأمل في الطبيعة:

ذكرنا تأثر أدباء المهجر بالمذهب الرومانسي ، الذي يتفق مع استعادهم النفسی، حيث الحساسية المفرطة، والتمرد على كل شيء، وقلّة الاحتفال بمجارة العقل والخضوع لأحكامه، ولهذا يكثر في أشعرهم التغنى بجمال الطبيعة، التي

1 - جبران خليل جبران: السابق ط دار اليقظة العربية بيروت د. ت ص ٤٩: ٥٠.

2 - نقلا عن: عيسى الناعوري: أدب المهجر ص ٥٩.

يتعزى بجمالها الناس عن آلام الحياة، فالطبيعة عند الشاعر الرومانتيكى معبد يأوى إليه ليستجم عندما تقسو الحياة^(١).

تأخذ الطبيعة عند الشاعر المهجرى أكثر من منحى فنى، فهى مجال للتأمل فى الكون، الذى هو امتداد لعالم النفس (انطلاقاً من نظرية وحدة الوجود)، وهى صورة جميلة رسمتها يد فنان عظيم، وهى رمز لجنة ضائعة فرارا من عالم الواقع وأدراجه، وهى رمز للقداسة إذا ما اقترن ذكرها بالوطن.

فمن النوع الأول (الطبيعة مجال للتأمل فى الكون) ما نجده عند الشاعر ميخائيل نعيمة فى قصيدة من أنت يا نفس؟! ففيتها يتساءل - كما ذكرنا - عن النفس كأي نفس إنسانية، جزء من هذا الكون فى بحاره، وأواجه وسحبه... إلخ يقول:

- إن رأيت الريح تدرى الثلج عند رؤوس الجبال
- أو سمعت الريح تعوى فى الدجى بين التلال
- تسكن الريح وتبقى باشتياق صاغية
- وأناديك ولكن أنت عنى قاصية

فى محيط لأراه

هل من الريح ولدت؟!... إلخ^(٢).

ومن التأملات فى الطبيعة التى يتخذها إيليا أداة إقناع لبعث التفاؤل

فى نفس المتشائم، قوله فى قصيدة المساء:

- لافرق عند الليل بين النهر والمستنقع
- يخفى ابتسامات الطروب كأدمع المتوجع

1 - راجع: د. محمد مندور: فى الأدب والنقد ص ١٠٣.

2 - ميخائيل نعيمة: ديوان همس الجفون ص ١٦.

• إن الجمال يغيب مثل القبح تحت البرقع... إلخ^(١).

الطبيعة رمز لجنة ضائعة، أو لعالم مثالي (يوتوبيا) يتصف بالصفاء والنقاء، بعيداً عن عالم الصخب والضوضاء، حيث الحياة الصاخبة التي تفتقد الروح والجمال والعلاقات الاجتماعية الهشة، فنسيب عريضة يصف الحياة في المدينة الأمريكية، وما فيها من بروج مشيدة، وعمارات شاهقة، يتخليها تنازير هائلة تريد أن تنقض عليه، وهي بلاد وتُدت فيها الطهارة والعفة، وفقد منها البشر الهناء، وماتت فيها الفضائل، لذا يكره العيش فيها، ويحن لحياة البساطة على ضفة الغدير الرقراق:

نفسى على عهد البوا دى لم تزل بين الخيام
ولجسة عند المسا ء لدى الغدير بلا كلام

أجدى إلى قلبى من الضوضاء في المدن العظام^(٢).

وهذا ملمح رومانسى، حيث التطلع إلى عالم خيالى جميل، في أحضان الطبيعة، حيث السواقي والصخور، والفجر الضاحك، والعناقيد التي تتدلى من عرائش العنب، ويصبح العشب فراشا، والفضاء لحافاً، وإن كانت هذه الرؤية للطبيعة في جمالها وقدسيته، قريبة من رؤية وردزورث وكولردج وبلينك، لذا قال نسيب عريضة في مقدمة المواكب "جبران" في مواكبه لا يقصد دعوة الناس للرجوع إلى الطبيعة، كما فعل مفكر القرن الثامن عشر فى فرنسا وانكلتر، بل دعوته إنما

1 - ايليا أبو ماضى: ديوان الجداول قصيدة الطلاسم ص ١٣ وما بعدها.

2 - راجع: نسيب عريضة: الأرواح الحائرة ص ١٦٩: ١٧٠.

هى للرجوع إلى بساطة الحياة" (١) وكان جبران رائداً في اتخاذ الغاب رمزاً للحياة المثالية بعيداً عن حياة المدينة الصاخبة، في مطوياته المواكب، والتي يقول فيها:

هل تخذت الغاب مثلى
منزلاً دون القصور
فتتبعت السواقي
وتسلقت الصخور
هل تحممت بعطر
وتتشتقت بنور
وشربت الفجر خمرا
في كؤوس من أثير
هل جلست العصر مثلى
بين جفئات العنب
والعناقيد تدلت
كثريات الذهب
هل فرشت العشب ليلا
وتلحففت الفضا
زاهدا فيما سيأتى
ناسيا ما قد مضى (٢)

ومن الموضوعات الشعرية التي كانت مطروقة من قبل، ولكن الشاعر المهجرى أعطاها مذاقا جديدا، الحنين إلى الوطن، وعرف الحنين إلى الوطن منذ الشعر الجاهلى، في مقدمة قصائدهم، كانوا يبيكون الأطلال تذكرا لمن سكن هذه الدار، مصداقا لقول قيس بن الملوح:

وما حب الديار شغفن قلبى
ولكن حب من سكن الديار
وعلى ابن الرومى حب الناس لأوطانهم في قول:

وحب أوطان الرجال إليهم
مآرب قضاها الشباب هنا لكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم
عهود الصبا فيها فحنوا لذلك

ويشترك الشعراء المهجريون في الشمال والجنوب في هذا الملمح، لأنهم أبناء ظرف واحدة، وأنهم جميعا "مشدودون في أشعارهم بأسلاك وطنية، تحقق لها

1 - جبران خليل جبران: المواكب طبعة المقطم مصر عام ١٩٢٣ المقدمة بقلم نسيب عريضة ص ١٠.

2 - جبران خليل جبران: المواكب طبعة المقطم مصر عام ١٩٢٣ ص ٣٩.

قلوبهم وأفئدتهم، وليس هناك حدث يحدث في بلدكم إلا ويهتزون لها
ويصيحون" (١).

وإن كان نلاحظ في دراستنا تفوق أدباء المهجر الجنوبي على أدباء المهجر
الشمالي في هذا الملمح، ومرجع ذلك الاستقرار الذي حظى فيه أدباء الشمال عن
أدباء أمريكا الجنوبية، لمنح هؤلاء تأشيرة الإقامة، وافتقارهم الأمل في نهضة الأمة
العربية وصلاحها بعد الحرب العالمية الثانية، وقد عبرت قصيدة أخي لميخائيل
نعيمة عن هذا الشعور في قوله:

- أخي! من نحن؟ لا وطن ولا أهل ولا جار
 - إذا نمنا، إذا قمنا ردانا إلخزي والعر
 - لقد خمت بنا الدنيا كما خمت بموتانا
 - فهات الرفش واتبعني لنحفر خندقاً آخر
- نوارى فيه أحياناً... إلخ (٢)

ولكن لا يعنى هذا خلوشعر المهجر الشمالي من شعر الحنين إلى الوطن
فهناك قصائد للشعراء خاصة لإيليا أبى ماضى ورشيد أيوب، تقطر صدقاً
وتتفجر جمالاً في الشوق إلى الوطن، والتنعيم بذكراه، والهيام به، كقول رشيد
أيوب:

خلقت ولكن كى أموت بها حبا لذلك ترانى مستهما بها وجدا
وما أنت ممن إن ترامت به النوى تروعه الدنيا ولو ملئت رعبا
ولكن لى في سفح صنين موطننا يعز على أن أفارقه غصبا

1 - د. شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر ص ٢٥٨.

2 - ميخائيل نعمة: همس الجفون ص ١٨.

إذا ما ذكرت الأهل فيه فإنني لدى ذكرهم أستمطر الدمع منصبا.. إلخ^(١)
ونذكرى الوطن عند إيليا أبى ماضى تمتزج بطبع الشاعر ونعمة التفاؤل
التي تملأ روعه، ويستحضر طبيعته الغناء، التي تريح العين والقلب والوجدان
يقول في قصيدة (لبنان):

اثنان أعياء الدهر أن يبليهما لبنان والأمل الذى لذويه
نشأته والصيف فوق هضباته ونحبه والتلج في واديه
وإذا الصبايا في الحقول كزهرها يضحكن ضحكا لا تكلف فيه
وطنى ستبقى الأرض عندى كلها حتى أعود إليه أرض النيه. إلخ^(٢)

ومن صور التجديد عند أدباء المهجر في الشمال والجنوب نسجهم
المطولات الشعرية، وقد كان جبران رائداً في هذا النهج في مطواته (المواكب التي
سنعرض لها في دراستنا لجبران) وتبعه من شعراء المهجر الشمالي نسيب عريضة
في (على طريق إرم) وإيليا أبو ماضى في (الطلاسم، والأسطورة الأزيية، والشاعر
والسلطان الجائر) وبعض شعراء المهجر الجنوبي، منهم شفيق معلوف
في (عبر) وفوزى المعلوف في (على بساط الريح) ونعمة قازان في (معلقة الأرن)
وإلياس فرحات في (أحلام الراعى) والشاعر القرى في (الربيع الأخير).

ومن التجديد في شعر المهجر الشمالى والجنوبى في الموسيقى، تجاوزهم
للنهج الخليلى لنظام البيت العريضى، وزنا وقافية، لقد أعجب شعراء المهاجر
بالموشحات، ووجدوا فيها الشكل الموسيقى الطريف الذى يتجاوب مع أوزانهم
الشعرية، لأن فيه من الطرافة والتنوع، وهذان الملمحان يعطيان الشاعر الحرية

1 - رشيد أيوب: الأوبيات ط نيويورك عام ١٩١٦ ص ٣٩.
2 - إيليا أبو ماضى: ديوان الخمائيل ط دار صادر بيروت ص ٨٠.

في الانطلاق والتغريد، وعلل لذلك د. سيد البحرأوى بقوله "إن شعراء المهجر كان يساورهم الإحساس بعدم صلاحية الشكل القديم، وفى نفس الوقت عدم التخلّى عنه، أو تحطيمه من الداخل... وكان عليهم أن يبحثوا عن أشكال جديدة تخرج بهم عن صرامة إطار الشكل القديم، وتحقق في نفس الوقت صياغة أفضل لما يحملان من رؤى جديدة، وتجارب جديدة"^(١).

وقد عرف فن الموشح عند الأندلسيين، وقد جاء هذا الفن نتاجاً لمتطلبات البيئة الأندلسية، حيث الطبيعة الفاتنة، وانتشار اللهو والطرب، وجاء شعرهم معبراً عن بيئتهم، لذا احتاج إلى شكل موسيقى، يتصف بالخفة والتنوع والطرافة ومن أشهر من كتب الموشح من الأندلسيين ابن زهر، وابن سهل، ولسان الدين بن الخطيب، ويبدأ الموشح بمطلع يتكون من شطرين، أو أربعة، يليه الدور وهو مجموعة الأبيات التي تلى المطلع، ويتكون من مجموعة من الأقسام، لاتقل عن ثلاثة ويمكن أن تصل إلى خمسة، بشرط الالتزام بنفس العدد في بقية الموشح ويتكون البيت في الموشح من الأغصان (مجموعة الأقسام بعد المطلع) ثم القفل ثم تختتم بالخرجة وهي آخر قفل في الموشح، والموشح الذى لا يبدأ بالمطلع يسمى بالموشح الأقرع.^(٢)

ولكن يلاحظ على شعراء المهجر أنهم لم ينقلوا الموشح بشكله المعهود في الموشحات الأندلسية، ولكنهم طوّروا هذا الفن بما يتماشى مع ظروفهم، حيث عاشوا في جو من الحرية، دفعهم على الانطلاق والتجديد، في الشعر عامة كما رأينا

1 - د. سيد البحرأوى: موسيقى الشعر عند شعراء أبولو ط دار المعارف بمصر د. ت ص ٧٥.
2 - راجع: ابن سناء الملك: دار الطراز في عمل الموشحات تحقيق جودة الركابى ط دمشق عام ١٩٤٩ ص ٢٥ وما بعدها.

، ومنه الشكل الموسيقي، و"قد ارتفعوا بالمستوى الفنى لهذه الموشحات وأشاعوا فيها الموسيقى العذبة، والرقّة الغنائية الحلوة، وسموا بها عن التلاعب اللفظى، والزخرف الشكلى اللذين كانا يسيطران عليها في الأندلس"^(١).

ونقف على نموذج لشكل الموشحة من قصيدة ابتهالات لميخائيل نعيمة:

كحلّ اللهـم عيني

بشعاع من سناك

كى تــــراك

في جميع الخلق! فى دود القبور في نسور الجو ، في موج البحار

في صهاريج البرارى، في الزهور في الكلا في التبر في رمل القفار

وإذا ما ساورتها سكتة النوم العميق

فاغمض اللهم جفنيها إلى أن تستنيق^(٢)

ونلاحظ على هذه القصيدة وغيرها، أنها لا تطابق "مطابقة حرفية بين هذا النظام ونظام الموشح ، كما أوضحه ابن سناء الملك في دار الطران، وذلك أن نظام الأجزء والأقفال عندما يعرفه بأنه يتكون في الأكثر من ستة أقفال ، وخمسة أبيات، ويقال له التام، وفى الأقل من خمسة أبيات، ويقال له الأقرع، فالتام ما ابتدء فيه بالأقفال، والأقرع ما ابتدء فيه بالأبيات، لا يلتزم الشعراء بهذا الحد الذى وصفه ابن سناء الملك ، وإن كانوا يلتزمون الفكرة التي بنى على أساسها"^(٣).

1 - د.حسن جاد: الأدب العربى في المهجر دار الطباعة المحمدية عام ١٩٦٣ ص ٣٤٧.

2 - ميخائيل نعيمة: همس الجفون ص ٣٥.

3 - د.حلمى بدير: الشعر المترجم وحركة التجديد في الشعر الحديث دار المعارف بمصر ط ٢ عام ١٩٩١ ص ٢٨١.

وهذا ما لاحظته - أيضا - أنيس المقدسى في قوله "التوشيح الجديد متأثر من جهة بالطريقة الأندلسية، ومن جهة أخرى بأساليب النظم عند الغربيين ويظهر هذا التأثير المزوج في موافقته للتوشيح في الأندلس، ومخالفته له في عدم التقيد بالمطالع اللازمة" (١).

ومن التجديد الموسيقي عندهم تنوع القافية، وقد أعلن ميخائيل نعيمة شرده على نظام القافية في كتابه الغربال، الذى تزّمن نشره، مع كتاب الديوان للعقاد والمازنى، وقد ثارا (الأخيران) أيضا على التمسك بالقافية الموحدة، ونادا بالشعر المرسل الذى تتنوع فيه القافية، يقول ميخائيل نعيمة "أن القافية العربية السائدة إلى اليوم ليست سوى قيد من حديد، يربط قرائح شعرائنا، وقد حان تحطيمه" (٢).

ومن الشعراء الذين تحرروا من نوعوا في القافية جبران، ونستشهد هنا بقوله في قصيدة الشحرور:

أهـا الشحرور غرد	فالغنا سر الوجود
ليتنى مثلك حرر	من سجون وقيود
ليتنى مثلك روح	في فضا الوادى أطيـر
أشرب النور مداما	في كئوس من أثير..... إلخ

وقد فطن الشاعر المهجرى إلى أن الإيقاع ليس في الوزن والقافية فقط وإنما هورج تسرى في القصيدة، مرجعه الموسيقى الداخلية التى نستشعرها في تجانس الحروف في الكلمات، وفى تلائم الكلمات واتساقها فيما بينها، فكثير

1 - أنيس الخورى المقدسى: الاتجاهات الأدبية في العالم العربى الحديث ط بيروت عام ١٩٥٢ ج ٣ ص ١٩٣.
2 - ميخائيل نعيمة: الغربال ط دار صادر بيروت عام ١٩٦٠ ص ٧٠.

من قصائد شعرهم نراه سيمفونية جميلة ، ولعل هذا ما أطلق عليه د.محمد مندور الشعر المهموس ، ومن القصائد التي مثل بها لشعراء المهاجر قصيدة أخی لميخائيل نعيمة، وقصد بالشعر المهموس، إحساس بتأثير عناصر اللغة ، واستخدام تلك العناصر في تحريك النفوس وشفائها مما تجد... يحدث عن أي شيء همس به فيثير فؤادك. (١)

٢ - أبرز أدباء المهجر الشمالي

[حياتهم- إبداعاتهم- السمات الفنية | إبداعاتهم]

١- جبران خليل جبران

ولد جبران خليل جبران في السادس من يناير عام ١٨٨٣ في قرية بشرى لأبوين من عامة الشعب، هما خليل جبران ، وكاملة رحمة، كان والده يعمل في تجارة المشية، وعدها لتقدير الضريبة عليها ، تأثر بأمه كثيراً ، فكانت تقص له الحكايات وتغنى له الأغاني الشعبية، مما عمل على تفتق موهبته الأدبية صغيراً فظهر نبوغه وتطلعه الأدبي، صاحب هذا التطلع الأدبي والموهبة خيال باع مصحوبا بمعان إنسانية ، فاتسع قلبه لحب الناس والحياة، وعمق هذه المشاعر الطبيعية الغناء التي نشأ في أحضانها بلبنان، هاجر أخوه بطرس إلى بوسطن (بصحبة الأسرة ماعدا الأب) وكان جبران وقتها في الثانية عشرة من عمره، وأخذ معه بقية الأسرة ، ومكث معه عامين، وبعدها طلب من أمه الرجوع إلى لبنان لإكمال دراسته العربية ووافقت على طلبه، ف قضى أربع سنوات درس فيها اللغة العربية وآدابها، وشيئا من اللغة الفرنسية ، في مدرسة الحكمة بلبنان وبعدها رجع إلى بوسطن ، وهناك صدم بمجموعة من النكبات ، أولها وفاة أخته سلطنة عام

١ - راجع د.محمد مندور : في الميزان الجديد طدار نهضة مصر دت ص٦٥ وما بعدها.

١٩٠٢، ثم موت أخيه بطرس ثم موت أمه في نفس العام ١٩٠٣ اظلمت الدنيا أمامه ، وأصبح عائلاً لأسرته المكونة منه ومن أخته مريانة التى تصغره، بعام ونصف، ولم يكن مؤهلاً للعمل ، اعتمد على دخل أخته التى كانت تعمل ، وامتدت إليه يد كريمة هى السيدة الأمريكية (مارى هاسكل) حيث قدمت له منحة شهرية (قدرها خمسة وسبعون دولاراً أمريكياً كل شهر)، لإكمال دراسته في باريس، وسافر إلى باريس عام ١٩٠٩ لتعلم الرسم ، وقد استفاد من هذه الرحلة إفادة طيبة ، فتتلمذ على يد النحات الشهير (رودان) وحصل على شهادة الامتياز فى كلية الفنون الفرنسية وعضوية الشرف في جمعية الرسامين الإنجليز. ودرس الرسم في أكاديمية جوليان وعاد إلى بوسطن بعد عام ونصف تقريبا عام ١٩١٠ وهو مؤهل لممارسة الرسم على أحدث المذاهب الفنية ، وقرأ لمشاهير الكتاب الفرنسيين ، واطلع على آدابهم ونماذجهم الكتابية، وبعدها رحل إلى نيويورك وهناك اعتمد على موهبته في الرسم فدرت عليه دخلاً مجزياً ، وكون ثروة كبيرة وأقام في نيويورك معرضين لرسوماته في قاعة مونترويس ، وفى قاعة كنولر، وفى عام ١٩١٨-وبعد اطمئنانه على مستواه المادى- أخذ يزول مهنة الأدب ، وحتى هذا التاريخ لم نعرف عنه سوى مجموعة مقالات جمعت فيما بعد تحت عنوان العواصف، وجاءت كتاباته معبرة عن روح الشرق ، وسط زيف حضارة الغرب ، وما فيها من قسوة وغش وخداع، فظهر له كتابان (المجنون والسابق) عام ١٩١٨ وعام ١٩٢٠ ، وفى العام نفسه أسس مع زملائه الأدباء الرابطة القلمية ، وانتخبوه رئيساً لهذه الرابطة، التى يعد (جبران) فيلسوفها الأول ومفكرها ورائد التجديد فيها بأفكاره الروحانية ، وكتاباته ذات القيمة الأدبية العالية، ولم يكن هذان الكتابان

السابقان سوى مقدمة لكتابه الروحى العظيم (النبى) عام ١٩٢٣ وقد عمل هذا الكتاب ثورة ثقافية ، لقيته الفنية فى التجديد، وأتبع هذا الكتاب بكتابين آخرين عيسى بن الإنسان، وحديقة النبى، الذى طبع بعد وفاته، بدأ المرض ينسل فى جسده وهو يقاوم غير مستضعف وكتب بجد حتى وفاته فى العاشر من أبريل ١٩٣١م.

كان جبران إنساناً مرهف الحس ، قوى الملاحظة، شديد التأثر، سريع الانفعال ، حاد الطبع إذا استفز، ولكنه كان متساهلاً ، سرعان ما يهدأ لأن الحقد لا يعرف لقلبه طريقاً، تنقل جبران فى بيئات ثلاث ، لبنان وأمريكا وباريس ، ففي بلده بشرى تعلم من مدرسة الحكمة وما فيها من جرعة إيمانية، وقد أمدت هذه البيئة خياله الخصب بالصور الرائعة من طبيعتها الساحرة، البيئة الثانية (أمريكا) حيث فتحت عينيه على موضوعات ما كان يتسنى له أن يعرفها ، فكتب عن حقوق الفرد فى ثلاثية روحية (الحق والخير والجمال) البيئة الثالثة (باريس) تعلم فيها أصول الرسم ، وأطلع فيها على أدبها الرومانسى ، وتعلم فيها الفن والفلسفة، وقد تأثر فى ثقافته الفلسفية بفلسفة نيتشه الألمانية فى الحياة والوجود، وبفلسفة إمرسون ، وقد جاء أدبه نوسمات خاصة ، لأنه نتاج هذا الخليط الثقافى ، لنجد تجديداً فى موضوعاته ، وتحرراً فى طرائقه الأسلوبية ، وبعداً فلسفياً وتمرداً متشائماً، وراحة نفسية خاضعة لقوى كبرى... (١)

1 - راجع:عدنان يوسف سكيك: النزعة الإنسانية عند جبران ط الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٠ص١٣:٢٧، وراجع: خير الدين الزركلى: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين ط٣ بيروت عام ١٩٦٣ج٢ص١٠٠.

وكان جبران أول من كتب القصة، ففي أول كتابه (عرائس الكروم) الذي نشره عام ١٩٠٧ ثلاث قصص، وقد عبر في قصته الأولى عن التناسخ، تلك الفكرة التي جاءت نتيجة لتأثره بالفكر الغربي، وخاصة فلسفة نيتشه، وفي القصة الثانية يحمل المجتمع سقوط الأفراد ضحية لأخطائه، وفي الثالثة يصور لنا انحراف الكنيسة أما تصوير الشخصيات وانفعالاتها، والأحداث وزمانها، ومكانها، فإنها تبدو باهتة أو معدومة في قصصه الثلاث، ونشر عام ١٩٠٨ كتابه (الأرواح المتمردة) الذي اشتمل على أربع قصص (وردة الهانى، صراخ القبور، مضجع العريس، خليل الكافر) ونقد عدنان سكيك هذه القصص فقال "تفتقر إلى العناصر الفنية الأولية للقصة، فالحبكة غير موجودة، وعنصر التشويق غير متوفر والشخصيات تنقصها الحركة، والتعبير عن ذاتها، وكل ما فعله جبران أنه راح يتمص كل شخصية من أبطال قصصه ليحكى على لسانها كل ما يدور في ذهنه من آراء تنتقد المجتمع وتقاليد وشرائعه الباطلة، وتسلسل الأحداث لا يأخذ شكلاً واقعياً أو طبيعياً، فهو يقتحم الموقف... بآرائه وانتقاداته التي يريد أن يبسطها للناس، وهو لا يدري أنه طغى على القالب الفنى" (١).

وفي عام ١٩١٢ نشر الأجنحة المتكسرة، وهي آخر محاولاته في فن القصة وهذه القصة أوضح فنياً من القصص السابقة، وعبر فيها عن تجربته الذاتية التي استمدتها من واقع الحياة، فالأحداث واقعية إلى حد كبير، بعيدة عن المبالغات والمواقف الخيالية، ولكنه فشل في تصوير شخصياته، اللهم إلا شخصية نفسه التي أجاد في تصورها، والتعبير عن مختلف انفعالاتها.

١ - عدنان يوسف سكيك: النزعة الإنسانية عند جبران ص ٧٩.

ولكن يعذر جبران في هذا فأية بداية فنية يعثورها كثير من العقبات ولا تظهر فى صورة مستوية لأول مرة، وينطبق حكمنا على قصصه من حيث الضعف الفنى على مسرحياته التي كتبها، فقد كتب مسرحية (الصلبان) ضمنها كتابه العواصف، وهى تدور حول موضوع ابتذال الفن في الشرق، كما كتب مسرحية (إرم ذات العماد) في كتابه البدائع والطرائف، وضمنها بعض آرائه عن وحدة الأديان، ووحدة الوجود، والروح والجسد، والإيمان بالله... إلخ.

ترك لنا ستة عشر مؤلفاً ثمانية باللغة العربية، ومثلها باللغة الإنجليزية كالآتى: مؤلفات باللغة العربية:

- ١- الموسيقى طبع عام ١٩٠٥.
- ٢- عرائس المروج طبع عام ١٩٠٧.
- ٣- دمعة وابتسامة طبع عام ١٩١٤.
- ٤- الأرياح المتمردة طبع عام ١٩٠٨.
- ٥- الأجنحة المتكسرة طبع عام ١٩١٢.
- ٦- المواكب (شعر) طبع عام ١٩١٩.
- ٧- العواصف طبع عام ١٩٢٠.
- ٨- البدائع والطرائف طبع عام ١٩٢٣.

مؤلفات باللغة الإنجليزية:

- ١- المجنون طبع عام ١٩١٨.
- ٢- السابق طبع عام ١٩٢٠.
- ٣- النبي طبع عام ١٩٢٣.
- ٤- رمل وزيد طبع عام ١٩٢٦.

٥- عيسى بن الإنسان طبع عام ١٩٢٨.

٦- آلهة الأرض طبع عام ١٩٣٢.

٧- حديقة النبي طبع عام ١٩٣٣.

٨- التائه طبع عام ١٩٣٣.

ونقف على نماذج من كتاباته، تدلل على منهجه الفنى، حيث التمرد والروح الرومانسية، التى تتصف بالخيال البعيد، ورقة الألفاظ ونضارتها، يقول في الأجنحة المتكسرة:

خرجنا إلى الحديقة، وسرنا بين الأشجار، شاعرين بأصابع النسيم الخفية، تلامس وجهينا، وقامات الأزهار والأعشاب... تتمايل بين أقدامنا، حتى إذا ما بلغنا شجرة الياسين، جلسنا صامتين، على ذلك المقعد الخشبي نسمع تنفس الطبيعة النائمة، ونكشف بحلاوة التهد خفيا صدرينا أمام عيون السماء الناظرة إلينا... وطلع القمر.. ومن وراء صنين، وغمر بنوره تلك الروابي والشواطئ فظهرت القرى على أكتاف الأودية، كأنما انبعثت من لاشيء، وبيان لبنان جميعه تحت تلك الأشعة الفضية، كأنه فتى متكئ على ساعده تحت نقاب لطيف... وأنا قد رأيت لبنان في تلك الليلة مثل فكر شعري خيالى منتصب، كالحلم بين اليقظة واللايقظة، كذا تتغير الأشياء أمام أعيننا بتغير عواطفنا، وهكذا نتوهم الأشياء متسخة كالسحر والجمال، عندما لا يكون السحر والجمال إلا في نفوسنا..^(١)

ولعلنا نلاحظ أسلوبه الشعري، الذى يقترن كثيرا بالخيال المجنح، وكان هذا الأسلوب تمهيدا للشعر المنثور بعد ذلك، وإن سبقه الريحاني في ذلك، ولكن هذا لا يمنع أن نقر بزيادة جبران لهذا النهج الشعري، خاصة أنه عاصر أمين الريحاني وظهرت شخصيته المستقلة لا المقلدة.

١ - الأجنحة المتكسرة ص ٢٦: ٢٧. نقلا عن عدنان يوسف سكيك: النزعة الإنسانية عند جبران ص ٦٥.

الشعري يقول في إحدى قطعه التي يتوافر فيها الطابع الرومانسى وأسلوبه:

جاء الربيع وتكلمت الطبيعة بالسنة السواقى ففرحت القلوب، وابتسمت
بشفاه الأزهار، فأسعدت النفس، ثم غضبت ودكت المدينة الجميلة، فأنت الإنسان
عذوبة كلمها ورقة ابتسامها، قوة عمياء مخيفة نقضت بساعة ما أقامته الأجيال،
موت ظلوم قبض بأظافره المحدودة على الأعناق فسحقها بقساوة، نار آكلة التهمت
الأرزاق والأعمار، ليل قائم أخفى جمال الحياة، تحت لحاف الرماد، عناصر هائلة
هبت من مرابضها، وقاتلت الإنسان الضعيف، وضربت مساكنه، وذرت بسرعة
ما جمعه بالتانى، زلزال عنيف حبلت به الأرض، فتمخضت متوجعة ولم تلد غير
إحتراب والشقاء..^(١)

قال عنه عدنان يوسف سكيك اشتهر جبران بالشعر المختور، وأبدع فيه كل
الإبداع لأنه يتناسب وطبيعة جبران المحبة للتححرر والانطلاق والانعتاق من كل قيد
وقد شاع هذا اللون من الشعر في الآداب الأوربية، أبان ثورتها الرومانسية على
القديم بجميع قيوده، وليس من السهل أن نحدد متى وأين تأثر جبران بهذا اللون
من الشعر الغربى، ولكنه أثر من آثار قراءاته الواسعة في الآداب الغربية شعراً
وتنثراً^(٢).

وقد يأخذ أسلوبه الشعري المشهور شكل السطر الشعري كما في في عصرنا، كقوله:

- لقد أحببتكم كثيراً وفوق الكثير.
- فقد أحببت الواحد منكم كما لو كان كلكم.
- وأحبتكم جميعاً كما لو كنتم واحداً.
- ففى ربيع قلبى كنت أترنم فى جنانكم.
- وفى صيف قلبى كنت أحرس ببيادركم.

1 - دعمة وابتسامه ص ٦١ نقلا عن عدنان يوسف سكيك: النزعة الإنسانية عند جبران ص ٧٦.

2 - راجع: عدنان يوسف سكيك: النزعة الإنسانية عند جبران ص ٧٥.

أجل قد أحببتكم جميعكم جباركم وصلوكمكم، أبرصكم وصحيحكم، وأحبت
من يلتمس منكم سبيله في الظلام كمن رقص أيامه على الحبال والآكام.
أحبتك أيها القوى ، مع أن آثار حوافرك الحديدية لاتزال ظاهرة في لحمي.
وأحبتك أيها الضعيف على الرغم أنك جففت إيماني وعطلت على صبري.
أحبتك أيها الغنى في حين أعسلك كان علقما في فمي...

سأحبكم أكثر وأكثر ، ولكنى سوف أسدل على محبتي ستارا من
البغض واستر عطفى بشديد كرهى .^(١)

وجاء شعره امتدادا لنهجه الفكرى ، وآرائه التي عرضنا لها ، ونقف هنا
على مطولته المواكب، والتي تبرز ريادته للمطولات الشعرية في العصر الحديث
وفى الوقت نفسه يتجسد فيها آراؤه الفكرية ، حيث التسامى (متأثرا بمذهب
إمرسن فى التسامى) فكما تقول بربارة يونج "إن وحدة الإنسان والطبيعة
في الصخر، في الغيوم ، في الشجر، في النهر في الشلال، تتضح أبدا بشكل ظاهر
في جميع إنتاج قلمه (جبران) وريشته"^(٢).

فامرسن كان يعتقد بأن هناك جوهرأ كليأ يسيطر على الطبيعة، يتجلى
في كل جزء من أجزاء الطبيعة، في الشجر، في الرياح، في الأمطار، في الأزهار... إلخ
والإنسان جزء من أجزاء الطبيعة، وما علينا إلا أن نكتشف هذه الوحدة، فمطولة
المواكب تعد دليلاً على تأثره بفكرة إمرسن في الرجوع إلى الطبيعة، بعيداً عن
التكلف والرياء الذى يلازم حياة المدنية، فهناك في الغابة - بين أحضان الطبيعة-
يتساوى العبد مع الحر، والضعيف مع القوى، والجاهل مع العالم، فالكل أمام

1 - جبران خليل جبران: السابق ط دار البقعة العربية بيروت د. ت ص ٤٩: ٥٠.
2 - بربارة يونج: هذا الرجل من لبنان - ترجمة سعيد بابا ط دار الأندلس لبنان دت ص ٥٨.

أمهم (الطبيعة) متساوين، لا يشوب حياتهم خداع ولا رياء، ولا يقيمون بينهم ديناً يبشر بالنعيم، أو الجحيم، ولا يتفاخرون فيما بينهم بالأمجاد الزئفة، والقصيدة مكونة من مائتين وثلاثة أبيات، بناها الشاعر على صوتين، صوت الشيخ الخارج من المدينة، مثقلاً بهمومها، وصوت الفتى المرح الخارج من الغاب، في أحد عشر مشهداً، فالشيخ إخراج من المدينة يصور حياة المجتمع، بما فيها من خداع ونفاق، وغدر،... إلخ.

والفتى إخراج من الغاب يعزف على نايه بمرح ونشوة، فهو يمثل الحياة المجردة التي تهدي إلى نور المعرفة الحقيقية، وإلى الجمال المطلق،... وهو الهادي إلى سعادة الإنسان حيث الخير والحب والجمال... وقد عاش جبران عمره كله لنشر مبادئه بين الناس (١).

تبدأ القصيدة برسم صورة مفرزة لعلاقة الناس بعضهم ببعض، يقول على لسان الشيخ:

الخير في الناس مصنوع إذا جبروا والشرف في الناس لا يفنى وإن قبروا
وأكثر الناس آلات تحركها أصابع الدهر يوماً ثم تتكسر
فأفضل الناس قطعان يسير بها صوت الرعاة ومن لم يمش يندثر
ويرد عليه الفتى:

ليس في الغابات راع لا ولا فيها القطيع
فالشتا يمشى ولكن لا يجاريه الربيع
أعطني الناي وغنى فالغنى يرعى العقول

1 - راجع: عيسى الناعوري: أدب المهجر ص ٢٧٤.

والمشهد الثاني يصور على لسان الشيخ أن الحياة وهم فارغ، وسكر،
يضل الناس يقول:

قد قل في الأرض من رضى الحياة كما
لذاك قد حولوا نهر الحياة إلى
فالناس إن شربوا سروا ، كأنهمو
فيرد الفتى ساخرا من حماقات الناس:
ليس في الغابات سكر
فالسواقي ليس فيها
إنما التخدير ثدى

تأتيه عفوا ، ولم يحكم بها الضجر
أكواب وهم إذا طافوا بها خدروا
رهن الهوى وعلى التخدر قد فطروا
من خيال أو مدام
غير إكسير النعام
وحليب للأنام

ويظل هذا الحوار بين الشيخ والفتى، يقول الشيخ، ويرد الفتى بما يناقض
فكر الشيخ، في المشهد الثالث يتحدث الشيخ عن ضياع العدل ، ورد الفتى بما
يناقض رأيه، وفي المشهد الرابع يتحدث الشيخ عن مبدأ القوة، ويرد الفتى ساخراً
من فهم الناس للقوة والضعف، فلا ضعف ولا قوة في الحياة... إلخ .

وفي النهاية يدعو الفتى الشيخ بأن يتخذ الغاب مكاناً ومأوى ، فالشيخ
يمثل الحياة الواقعية التي يعيشها الناس بما فيها ، من صراع ، وكذب، ورياء وفتن
وانحرافات، وظلم ... إلخ، أما الفتى فيمثل الأمنى الخيالية التي يتمناها
الإنسان(الحق والعدل والحب والجمال... إلخ) وفي النهاية يتوجه الفتى للشيخ
قائلاً:

هل تخذت الغاب مثلى
فتتبعت السواقي
هل تحممت بعطر

منزلا دون القصور
وتسلقت الصخور
وتتشققت بنور

وشربت الفجر خمرا
هل جلست العصر مثلى
والعناقيد تددت
هل فرشت العشب ليلا
زاهدا فيما سيأتي
ناسيا ما قد مضى^(١)
في كؤوس من أثير
بين جفئات العنب
كثريات الذهب
وتلحفست الفضا

الغاب كما ذكرنا رمز لمجتمع مثالي ، يسود فيه الحب والخير والجمال

ويصعب تحقيق هذه المثل في الحياة ، كما قال الشاعر على لسان الشيخ:

العيش في الغاب والأيام لو نظمت
لكن هو الدهر في نفسى له أرب
في قبضتى لغدت في الغاب تنتثر
فكلما رمت غابا راح يعتذر
٢- إيليا أبو ماضى

ولد إيليا أبو ماضى في قرية المحيدثة في لبنان عام ١٨٨٩م ، وتوفى عام ١٩٥٧
قضى بعد ولادته أحد عشر عاماً في لبنان ، حصل فيها على الشهادة الابتدائية
وبعدها رحل إلى مصر عام ١٩٠٢م ، وهو في الحادية عشرة من عمره ، عاش أحد
عشر عاماً في مصر، يعمل في بيع السجائر ، أنتج في هذه الفترة ديوان تذكارات الماضي
ثم هاجر إلى أمريكا عام ١٩٢٢م ، وعمل في التجارة مع أخيه مراد في ولاية
سنستاني ، ثم انتقل إلى نيويورك للعمل مدير تحرير (الفتاة) التي كان يصدرها
شكري البخاش ، وفي عام ١٩٢٨م انصرف لتحرير مجلة مرآة الغرب ، وفي عام
١٩٢٩م أصدر مجلة السمير ، التي كانت تصدر مرتين في الشهر ، ثم تحولت إلى جريدة
يومية عام ١٩٣٦م ، وظل يحررها حتى وفاته عام ١٩٥٧.

١ - جبران خليل جبران :المواكب طبعة المقطم مصر عام ١٩٢٣ ص ٣٩.

لم يحضر اجتماع تأسيس الرابطة القلمية عام ١٩٢٠، ولكنه صار بعد ذلك عضواً فاعلاً بها، وعنواناً لشعرائها لما اتصف به شعره، من نضج أفكاره وخيالاته ونصاعة أسلوبه، وذيوع شعره.

لقد صار مع جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة أقطاب جماعة الرابطة القلمية، وإن كان الأثر الأكبر للتوجه الفكري والروحي لهذه الجماعة لجبران وإذا كان نعيمة قد تأثر كثيراً بأفكار جبران في الأخوة الإنسانية، ووحدانية الوجود والفلسفة الروحية، وتفوق عليه بنصاعة العبارة، فإن أبا ماضي قد استقل بشخصية شعرية قوية عارمة، وإن تأثر أحياناً ببعض أفكار جبران، ولكنه لم يتخذها مذهباً فكرياً كما اتخذها جبران ونعيمة، وقد ذاع صيت إيليا وشهرته لما يتمتع به من موهبة شعرية عالية، ولما بلغت قصائده ذات الطابع الإنساني (نذكر منها فلسفة الحياة، المساء، ابتسم، الطلاسم... إلخ) من الشهرة والذيعوع على ألسنة المثقفين، على اختلاف مستواهم الثقافي في الوطن العربي.

أما عن أعماله الشعرية التي تركها للمكتبة العربية، فهي تذكارات الماضي ديوان إيليا أبو ماضي، الجداول، الخمائل، وتبر وتراب (مجموعة القصائد التي جمعت وطبعت بعد مماته) (١).

وإذا تتبعنا لمراحل حياته الفنية من خلال دواوينه، فديوانه الأول (تذكارات الماضي) يعد المرحلة الأولى، وكانت مرحلة متواضعة، في بداية إبداعاته الفنية

1 - راجع : عيسى الناعوري أدب المهجر ص ٣٨١:٣٨٨. ود.نادرة سراج شعراء الرابطة القلمية ص ٣١:٣٢٤.

ومرجع ذلك ، كما يقول زهير ميرزا "إن الشاعر كان ضعيف الثقافة ، ضعيف التحيل
ضعيف الاطلاع على مفردات اللغة ، ضعيف الإلمام بقواعدها وأدواتها"^(١) .

ولكن لم يمنع ذلك من وجود بعض القصائد والمقطوعات الحسنة النظم
في هذا الديوان ، والديوان الثاني امتداد لهذه المرحلة ، فنجد فيه كثيراً من القصائد
المعارضة للمتنبى وأبي نواس والبارودي... إلخ.

أما المرحلة الثانية وهى مرحلة التجديد والازدهار الفنى، وكان ذلك
في ديوانه الجداول ، وكان وقتها قد انضم إلى الرابطة القلمية، وتشرب مبادئها
وأراءها الفكرية، لذا فلا غرابة أن يفتتح ديوان الجداول بقوله:

لست منى إن حسبت الشعر أفاظاً ووزناً
خالفت دربك دربى وانقضى ماكان منا... إلخ

ففي هذا الديوان كان يهتم بالمعاني ، ويعرض عن زخرفة الألفاظ ، وروعة
التشبيهات ، وتكلف الأوزن، نحن إنء أفكار ومعان سامية وخيالات وتصورات
جميلة موحية ، ولهذا السبب كان ديوان الجداول نقطة تحول في شعر أبى ماضى
بل وفى شعر الرابطة القلمية وشعر المهجر عامة.

أما المرحلة الأخيرة والتي هى امتداد للمرحلة السابقة ، فكانت عند
صدور ديوان الخمائل ، والتي اشتمل على قطع شعرية تخيلية روحية ، تنقل
القارىء إلى عالم من الخيال الروحى السامى ، كما في قصته الشعرية في
قصيدته (أمنية إلهة) حيث يقول على لسان تلك الإلهة:

أريد دنيا فيها شعاع يبقى إذا غابت النجوم

1 - زهير ميرزا: إيليا أبو ماضى شاعر المهجر الأكبر طدار اليقظة العربية دمشق عام ١٩٥٤ص٥٣.

أريد دنيا تحس نفسي فيها نفوسا بغير جسوم
أريد خمرا بلا كئوس من غير ما تثبت الكروم
أريد عطورا بلا زهور يسرى وإن لم يكن نسيم إلخ^(١)

لقد تأثرت في هذه الأبيات بالشاعر الرحى (وليم بليك) الذى اتصف- كما مر بنا - بالسمو الرحى والشفافية البعيدة، وقد كان جبران أول شعراء المهجر الذين تأثروا بهذا الشاعر، وتأثر جبران شعراء المهجر من بعد ومنهم إيليا.

ويصدق عليه قول عيسى الناعورى "أبو ماضى خير مثال للشاعر الحق بكل معانيه، فهو شاعر في روجه، وفى أفكاره، وعاطفته وخياله، وشاعر في أسلوبه وفى ألفاظه وتعاييره وصوره... وتظهر في شعره صور الحياة والمجتمع الإنسانى زخرة بالعواطف، جياشة بالحياة، دافقة بالجمال والرؤى الساحرة وأن الشاعر الحق صاحب رسالة، ... يقرأه الناس على اختلاف مشاربهم وأذواقهم وطبقاتهم، وعلى تباعد أوطانهم وأقوامهم، ويشعر كل منهم بأنه يرى فيه صورة لنفسه، وصورة عواطفه، وتعبيراً عن آماله ونواذعه"^(٢).

ومن الظواهر الفنية في شعره التأمل الروحى، والنزعة الإنسانية والتأمل فى الطبيعة، واستخدام الرمز، والمطولات الشعرية، أما عن الملمح الأول (التأمل الروحى) نرى هذا الملمح، فى مقطوعاته فى ديوان الجداول، وخاصة فى قصائد: الناسكة، فى القفر، نار القرى، الزمان، السجينة، فى القصيدة الأخيرة والتى يخاطب فيها زهرة، يبت فيها معاناته للحرية، تغنى بها فى الطبيعة، وفى معانقة نورها، ونسيميها وريحها، وغراشاتها وفضائها، فهى زهرة رومانسية

1 - إيليا أبو ماضى: ديوان الخمائى ط دار صادر بيروت دبت ص ٢١.

2 - عيسى الناعورى: أدب المهجر ص ٢٩٣.

انتالت بها عواطف الشاعر وخواطره، ورثاها كمن يرثى مصيرحي يعانى فاجعة الرق والموت ، يقول :

لعمرك ما حزنى لمال فقدته
ولكننى أبكى وأندب زهرة
رأها يحل الفجر عقد جفونها
وينفض عن أعطافها النور لؤلؤا
فعالجها حتى استوت في يمينه
وشاء فأمست في الإناء سجينة
ويقول على لسان البلبل :
ليس الحظوظ من الجسم وشكلها
ولاخان عهدى في الحياة حبيب
جناها ولوع بالزهور لعوب
ويلقى عليها تبره فيذوب
من الطل ما ضمت عليه جيوب
وعاد إلى مغناه وهو طروب
لتشبع منها أعين وقلوب (١)
السر كل السر في الأرواح

وهذا التأمل دفعه إلى الشك والارتياب، في أمور كثيرة، في الحياة والكون ولعل قصيدة الطلاس (ديوان الجداول ص ٨٩ وما بعدها) أكثر القصائد تعبيراً عن حيرته وقلقه، ونستشهد ببعض أبياتنا التي تبرز لنا القلق والحيرة :

- أترانى قبلما أصبحت إنسانا سويا
- كنت محوا، أو محالا أم ترانى كنت شيا
- ألهذا اللغز حل؟ أم سيبقى أبديا؟!
- لست أدرى ، ولماذا لست أدرى؟!
- لست أدرى؟!
- إننى أشهد في نفسى صراعا

1 - إيلى الحاوى: إيلىا أبو ماضى شاعر التساؤل والتساؤل ط دار الكتاب اللبنانى بيروت عام ١٩٧٢ ص ١٥٨:١٥٧

- وأرى ذاتى شيطاننا وأحياننا ملاكا
- هل أنا شخصان يأبى هذا مع ذلك اشتراكا
- أم ترانى وهما فيما أراه؟!
- لست أدري؟!
- كل يوم لى شأن، كل حين لى شعور
- هل أنا اليوم أنا منذ أيام وشهور
- أم أنا عند غروب الشمس غيرى في البكور
- كلما ساءلت نفسى جاوبتنى
- لست أدري؟!

أما عن النزعة الإنسانية في شعر إيليا أبى ماضى ، فهو يدعو في شعره، إلى إخوة ترى الناس سواسية ، وكل إنسان في حاجة أخيه الإنسان ، لا فرق بين غنى وفقير، أو عظيم وحقر، ولئن سبقت هذه الفكرة في شتى الأديان السماوية إلا أن الشاعر يتفنن بالأدلة في مبرهنا على رؤيته، كقوله في قصيدة الطين :

نسى الطين ساعة أنه طين	حقير فصال تيهها وعربد
وكسا الخز جسمه فتباهى	وحوى المال كيسه فتمرد
ياخى لا تمل بوجهك عنى	ما أنا فحمة ولا أنت فرقد
أمان كلها من تراب	وأمانيك كلها من عسجد
لا فهذى وتلك تأتى وتمضى	كدويها وأى شىء يؤيد
قمر واحد يطل علينا	وعلى الكوخ والبناء الموطد
النجوم التي تراها أراها	حين تخفى وحين نتوقد
أيها الطين لست أنقى وأسمى	من تراب تدوس أو تتوسد

سدت أم لم تسد فما أنت إلا حيوان مسير مستعبد
لايكن للخصام قلبك مأوى إن قلبي للحب أصبح معبد ..إلخ(١)

وقد ساد شعره نغمة تفاؤل واستبشار، للإقبال على الحياة والناس، لزرع
الحب فيها، بعيداً عن التشاؤم والكرب، الذى يجعل الحياة جحيما، يقول في
قصيدة ابتسم:

قال: الحياة كئيبة وتجهما قلت: ابتسم يكفى التجهم في السما!
قال: الصبا ولى فقلت: ابتسم لن يرجع الأسف الصبا المتصرما!
قال: التي كانت سمائى في الهوى صارت لنفسى في الغرام جهنما!
خانت عهدى بعدما ملكتها قلبى، فكيف أطيق أن أتبسما؟!
قلت: ابتسم واطرب فلو قارنتها قضيت عمرك كله متألماً ..إلخ(٢)

وهذه النغمة من التفاؤل نجدها فى كثير من قائده منها قصيدة فلسفة

الحياة(ديوان إيليا أبو ماضى ص١٠)والتي يقول فيها:

أيهذا الشاكي وما بك داء كيف تشكو إذا غدوت عليلا
إن شر الجناة في الأرض نفس تتوقى قبل الرحل الرحيلا
وترى الشوك في الورود وتعمى أن ترى فوقها الندى إكليلا
فتمتع بالصبح مادمت فيه لاتخف أن يزول حتى يزولا...إلخ
ونجد هذه النغمة في قصيدة المساء، والتي نجد فيها الملح الثالث(التأمل
في الطبيعة)والتي يدعو فيها الناس بالاستمتاع بالحياة، ملفتا نظره إلى مظاهر

1 - إيليا أبو ماضى:ديوان الجداول ط.مرآة الغرب نيويورك عام ١٩٢٧. ص٢٣.

2 - إيليا أبو ماضى:الخمائل ص٣٨ وما بعدها.

الطبيعة في حالتها (الحرية والفرحة) مبرهننا لنا بالأخذ بمظاهر السعادة اقتداء بها في حالات السعادة والفرح ، وترك ظواهر الحزن ، وهذا يدل على المقدرة التي يتمتع بها الشاعر في العرض والبرهنة والإقناع، يقول:

- السحب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين
- والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين
- والبحر ساج صامت فيه خشوع الزاهدين
- لكنما عيناك تائهتان في الأفق البعيد
- سلمى بماذا تفكرين؟!
- سلمى بماذا تحلمين؟!

- فاصغى إلى صوت الجداول جاريات في السفوح
- واستنشقى الأزهار في الجنات مادامت تفوح
- وتمتعى بالشهب والأفلاك مادامت تلوح
- من قبل أن يأتي زمان كالضباب أو الدخان
- لا تبصرين به الغدير !
- ولا يلذ لك إخرير!
- مات الصباح ابن النهار فلا تقولى كيف مات
- إن التأمل في الحياة يزيد من ألم الحياة
- فدعى الكآبة والأسى واسترجعى مرح الفتاة
- قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهلها
- فيه البشاشة والبهاء

ليكن كذلك في المساء!!... إلخ^(١)

1 - إيليا أبو ماضي: الجداول ص ٣٣.

وفى قصيدة(في القفر)يتأخذ الطبيعة- كعادة الرومانسيين - ملاذا يلجأ

إليه هروباً من عالم الواقع وأدراجه، يقول في هذه القصيدة:

قلت: أخرج من المدينة للفقير ففيه النجاة من أوصابي
دليلك الليل راهبى وشموعى الشهب كلها محرابى
وكتابى الفضاء أقرأ فيه سورا ما قرأتها في كتابى
وصلاتى التى التى تقول السواقى وغنائى صوت الصبا في الغاب
وكؤوسى الأوراق ألقى عليها الشمس ذوب النضار عند الغياب
ورحيقى ما سال من مقلة الفجر على العشب كاللجين المذاب
ولتكحل يد السماء جفونى ولتعانق أحلامها أهدابى... إلخ (١)

أما عن استخدام الرمز في شعره، فأيليا من الشعراء الذين يحسنون نظم
القصة الرمزية ذات الأمثولة، والتي تهدف إلى غاية إنسانية سامية، ومن القصائد
التي جاءت في شكل قصة رمزية، قصيدة الفراشة المحتضرة، وقصيدة التينة
الحمقاء (الجداول ص٢٨) وقصيدة الحجر الصغير(الجداول ص٢٢) في القصيدة
الأولى، يصور فيها لفراشة ضاع الصيف والربيع منها، ففقدت وجودها ومرحها
وسعادتها، وأضحت بائسة تعانى من الوحدة والضياع، والشاعر يبكى حزنها
ووجدتها، وكأن الفراشة المحتضرة رمز للحس بالكآبة لضياع الشباب وتصرم
سنوات العمر، وفى قصيدة التينة الحمقاء يصور لشجرة تين بخلت على الناس
بظلمها، وثمارها، فكان مصيرها:

1 - إيليا أبو ماضي:الجداول ص٢٩.

ولم يطق صاحب البستان رؤيتها
فاجتثها فهوت في النار تستعر
ويصرح في نهاية القصيدة بالعبارة من هذه القصة في القصيدة بقوله:

من ليس يسخو بما تسخو الحياة به
فإنه أحق بالحرص ينتحر

وفى قصيدة الحجر الصغير يصور لسد آمن مطمئن يحمى المدينة من الغرق
ولكن حجراً صغيراً في بنائه (السد) يبكى لتعاسة حظه، لأنه حقير لا قيمة له
ولا يقدره الناس، لذا يقرر في النهاية الانتحار بإلقاء نفسه في المياه ، فتغرق المدينة
وتنتهى القصيدة بقوله:

فتح الفجر جفنه فإذا الطوفان يغشى المدينة البيضاء

والقصيدة ترمز إلى قيمة كل إنسان ، مهما صغر أمره في المجتمع

لايستغنى عن دوره، فكل واحد له قيمته ، وتغيب أي فرد معناه تغيب دوره، وهذا
يؤدى بدوره إلى ضياع المجتمع، كما حدث للسد فانهار.

أما عن مطولاته الشعرية ، فله كما ذكرنا ثلاث مطولات، الشاعر
والسلطان الجائر (الخمائيل ص ٧)، والأسطورة الأزلية (الخمائيل ص ١٢٧)
والطالاسم (الجداول ص ٨٩) وسنقف هنا على قصيدة الأسطورة الأزلية ، ففي هذه
القصيدة تسيطر على الشاعر نزعة تأمل في الذات والكون والحياة والقصيدة مكونة
من مائة وأثنين وأربعين بيتاً، في عشرة أناشيد، والقصيدة تبرز لرحلة الناس
في الحياة، فمنذ وجد الإنسان على الأرض غير راض عما بها فهو ناغم على نصيبه
وقدره، لم يقنع ولم يرض، وقد عالج هذا التصور في شكل حكاية أسطورية، وتتلخص
هذه الحكاية في أن الناس قد ضجوا مرة بالشكوى إلى الله وودوا لو أعاد الله
تكوينهم من جديد، فنزل ذو الجلال على رغبتهم، وأخذ يستمع لشكوى كل واحد
منهم، وتوالت الشكاوى ، شاب يعيش وسط الشيوخ ، يريد أن يرجع لعهد الشباب

لينسجم معهم، وشيخ كبير يريد أن يرجع به الزمن ، ويعيش شابا، ليستمتع بحياته، فتاة جميلة تود لو افتقدت جمالها ، لأن الجمال جعلها مطمعا لكثيرين ومعرضا للأقاويل، جارية دميمة تتمنى لو تعود جميلة، فتكون مطلب الشباب صلوكك يتمنى لو صار من الموسرين ، حتى لا يتحكم فيه أحد، أبله يشتكى من بلاهته، ألمى يشتكى من التعب لأنه يفكر في كل شىء في الحياة،... إلخ وأخيراً يقف الناس جميعا منتظرين حكم المولى ، فكان:

لما دعا الله شكاياء الورى قال لهم: كونوا كما تشتهون !
فكانوا كما تمنوا(الفتى شيخا، والشيخ فتى، والحسنا دميمة، والدميمة حسنا، والصلوك غنياً ، والغنى صلوكا... إلخ)وعندما طلع الصباح على الكون فإذا الحياة هى هى من جديد، وتعود الشكاوى من جديد

٣- ميخائيل نعيمة

ولد ميخائيل نعيمة في السابع عشر من شهر أكتوبر عام ١٨٨٩ فى قرية بسكنتا اللبنانية الصغيرة ، التي يحيط بها جبل صنين بصخور، وتلوجه، لأبوين أميين وستة أخوة(كان ثالثهم)تلقى تعليمه الأولى في مدرسة القرية ، ثم في مدرسة الأرثونكس التابعة لجمعية الإمبراطورية الروسية الفلسطينية في القرية ، ولما كان من المتفوقين انتدب لتابعة دروسه في (دار المعلمين الروسية) في الناصرة بفلسطين، ولم يتم تعليمه في هذه المدرسة حتى السنة الرابعة حتى انتدبوه إلى مدرسة في روسيا ، على نفقة الجمعية الإمبراطورية، وكان وقتئذ في السابعة عشرة من عمره ، حيث توجه إلى بلتافا في أوكرانيا لدراسة السمنار اللاهوتى أكمل دراسته في السمنار ، وبعدها رجع إلى لبنان ، ومنها إلى باريس لدراسة

المحاماة في جامعة السربون بباريس، وعند رجوعه لبنان التقى بأخيه أديب الذي كان مهاجراً إلى أمريكا، وعاد لزيارة أهله، فأقنعه أخوه بالهجرة معه إلى أمريكا وكان ذلك عام ١٩١١، وفي عام ١٩١٢ التحق بجامعة واشنطن لدراسة الحقوق وظل بها أربع سنوات حتى نال شهادة الحقوق ١٩١٦، ولكن لميله الأدبي ترك العمل في مهنة المحاماة، رغب في الرجوع إلى لبنان لممارسة المحاماة، ولكن لظروف الحرب العالمية الأولى استحال ذلك، وأصبح جندياً - مكرهاً- في الجيش الأمريكي ١٩١٨ تنفيذاً للنظام الإلجباري للجنديّة هناك، وعاد من الحرب عام ١٩١٩.

وكان قد نشر عام ١٩١٧ مسرحية (الآباء والبنون) في كتاب مستقل، بعدما نشرها في فصول مستقلة في مجلة الفنون، التي أسسها في نيويورك الشاعر نسيب عريضة، والذي كان زميلاً له في مدرسة الناصرة، وفي تلك الفترة تعرف على زملائه الأدباء (جبران خليل جبران، ورشيد أيوب، وعبد المسيح حداد، وإيليا أبو ماضي) وأسسوا مع الرابطة القلمية - كما ذكرنا - ووضع دستورها، وأصبح مستشارها، بل وناقد الرابطة من خلال كتابه (الغربال) الذي صدر في القاهرة بعد أن وضع مقدمة له العقاد عام ١٩٢٣، وضم هذا الكتاب مجموعة مقالات ظهرت في المجلات والجرائد المختلفة ما بين ١٩١٣:١٩٢٣ وقد هدف في نقده وشعره هذه الفترة مع أعضاء الرابطة القلمية (الانتقال بالأدب العربي من طور التخلف والجمود إلى طور التجديد) وظل مع زملائه يكتب في مجلة السائح المقالات، وينشر الأشعار التي عملت على ازدهار الشعر العربي وورقيه، إلى أن رجع إلى الوطن عام ١٩٣٢.

وبعدها ظل في بسكنتا فيما يشبه عزلة الناسك ، منقطعاً للكتابة والإبداع حتى وفاه الأجل ، وقد كتب في نهاية حياته سيرته الذاتية ، في ثلاث مجلدات بعنوان سبعون. (١)

رغم موهبته الأدبية العالية لم يؤف في رحلته في المهجر سوى مسرحية الآباء والبنون ، وكتابه النقدي (الغريال) وديوانه الشعري (همس الجفون) مجموعة القصائد التي نظمها في المهجر، جمعها بعد عودته، وأعطاهها هذا الاسم ولم يكتب شعراً بعد ذلك.

وفي عام ١٩٣٤ ألف كتاباً عن جبران (جبران خليل جبران، حياته، موته أدبه، فنه) وقد أثار هذا الكتاب نقاشاً حاداً لنقده اللاذع لجبران، وسوف نقف بإيجاز على الملامح الفنية لإبداعاته في المهجر، ففي كتابه الغريال ظهرت شخصيته التجديدية ، وجاءت آراؤه النقدية متناغمة مع فكر الرابطة القلمية – كما مربنا – حيث دعا إلى التحرر من قيود الماضي ، وعدم الالتزام بالأغراض القديمة، والتمرد على نظام القافية الموحدة. ومن مظاهر التجديد في أدبه أنه كتب المسرحية في تلك الفترة المبكرة، وبلغت تمزج بين الفصحى والعامية، ودعا إلى أن تكون اللغة متماشية مع طبيعة الشخصيات ، فنطق الفلاح (بالعامية) والمتقف (بالفصحى). (٢)

وكتب كثيراً من الإبداعات بعد عودته من المهجر – ديوانه الذي جمعه وكتابه عن جبران كما ذكرنا – ومنها ، كان ما كان (مجموعة قصصية) والمراحل

1 -راجع د. إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر ص ١٧٧ وما بعدها، وعيسى الناعوري أدب المهجر ص ٣٩٧: ٣٩٣.

2 -راجع: د.نديم نعيم: ميخائيل نعيمة طريق الذات إلى الذات المطبعة الكاثوليكية بيروت عام ١٩٧٨ ص ١٢٣.

(مقالات) ومذكرات الأرقش (قصة) وزاد الميعاد - لقاء - الأوثان - البيادر - صوت العلم - النور والديجور - مرناد (باللغة الإنجليزية) سبعون (سيرة ناتية) في ثلاثة أجزاء. ويهمننا في دراستنا عن ميخائيل كتاباته في المهجر (الغريال - مسرحية الآباء والبنون - ديوانه همس الجفون) أشرنا إلى التجديد في الغريال ، وفى مسرحيته وسنقف هنا على الملامح الفنية في ديوانه (همس الجفون) وأول هذه الملامح في شعره الطمأنينة والارتياح، فلم يكن متمرداً مثل جبران، بل كان يرضى بما قسمته له الأيام كقوله:

ذمك الأيام لا ينفعك	فهى لا أذن لها تسمعك
لاولا عين ترى عقربا	في دياجير الأسى تلتسعك
لا ولا قلب يـرق وإن	جف من طول البكا مدمعك
سقف بيتى حديد	ركن بيتى حجر
فاعصفى يا رياح	وانتخب يا شجر
واسبحى يا غيوم	واهطلى يا مطر
واقصفى يا رعود	لست أخشى خطر... إلخ ^(١)

فنفسه المطمئنة لا يعكرها أي كدر مهما عصفت الرياح ، وانتخب الشجر وتجمعت الغيوم ، وقصفت الرعود، وما هذه الظواهر الكونية إلا تعبير عن ويلات الحياة ومصائبها لما اعتدنا في هذه الظواهر من مضايقات وكدر للإنسان، وامتداد لهذا الشعور يؤمن إيماناً عميقاً بخلود الريح بعد تحررها

1 - ميخائيل نعيمة: ديوان همس الجفون ص ٧٣.

من الجسد وأعبائه وقيوده، ويؤمن بأن الولادة والموت إنما حلقتان في سلسلة الحياة غيرا المتناهية، وأوضح هذه الفكرة في قصيدته أوراق الخريف والتي يستهلها بقوله:

تتـاثر تتـاثرى يابهجـة النظـر

يا مـرقص الشـمس ويأرجـو حـوة القـمـر

يا أرغن اللـيل ويا قيـثارة السـحر

يا رمز فـكر حائر ورسم روح ثائر... إلخ (١)

فلا غرابة أن يرى في الموت الخلاص والتحرر من سجن الطين، أو سجن الجسد يقول في قصيدة (أنا):

غدا أعيد بقـا يا الطين للطين

وأطلق الـروح من سجن التـخامـين

وأترك المـوت للموتى ومن ولدوا

والخير والـشـر للدنيا وللدين... إلخ (٢)

وقد انتهت هذه النظرة الصوفية إلى انتهاج نظرية وحدة الوجود، فالكون

عنده كل لا يتجزأ، وكل ما يراه من مظاهر خارجية وصور متعددة، إنما شهد به

الحس الظاهر فإنه يشهد بأن تلك ظواهر لحقيقة واحدة (حقيقة الذات الإلهية التي

تفيض على الوجود) يقول في نهاية (من أنت يا نفس):

إيه نفسى أنت لحن في قد رن صداه

وقعتك يد فنا ن خفى لا أراه

أنت ريح ونسيم أنت موج أنت بحر

1 - م. نفسه ص ٤٧ .

2 - م. نفسه ص ١٠٢ .

أنت برق أنت رعد
أنت فيض من إليه
أنت ليل أنت فجر
...إلى الخ (١)

وهذه الفكرة بلورتها قصيدة (ابتهالات) التي وقفنا عليها، وبلورها من بعد في كتابيه زُاد الميعاد، وسبعون.

٤- نسيب عريضة

ولد نسيب أسعد عريضة فى حمص، في شهر أغسطس عام ١٨٨٧، تلقى تعليمه الأولى في المدرسة الروسية المجانية في بلده، ثم أرسل - مكافأة على تفوقه - عام ١٩٠٠ إلى المدرسة الروسية، (دار المعلمين) التي تعلم فيها ميخائيل نعيمة وأرسل بعد أربع سنوات - لتفوقه - لتكملة دراسته في روسيا، ولكن ظروف الحرب حالت دون ذلك، بعدها هاجر إلى الولايات الأمريكية، وهناك التقى بمجموعة الأدباء (ميخائيل نعيمة، وجبران، والريحاني...) وتوطدت علاقته بهؤلاء وغيرهم بعدما أسس (نسيب) مجلة الفنون، عام ١٩١٣، وأخذوا ينشرون على صفحاتها المقالات الأدبية، وإبداعاتهم الفنية، ولكن لظروف نسيب المادية توقفت هذه المجلة فترة، ثم عادت للظهور مرة أخرى عام ١٩١٦، ولم تستمر سوى عامين وتوقفت لظروف صاحبها المادية، ثم التف هؤلاء الشعراء حول جريدة السائح التي أسسها ندرية حداد.

شارك مع زملائه (جبران وميخائيل نعيمة...) في تأسيس الرابطة القلمية فى عام ١٩٢٠، وعاد يعمل بجد في ممارسة نشاطه الثقافى لازدهار النهضة الأدبية

١ - م. نفسه ص ١٦.

هناك ، وفى عام ١٩٢٢ تزوج نجيبة حداد (أخت ندره حداد وعبد المسيح حداد) ولم يرزقا أولادا.

ترك العمل بالتجارة ، واقتصر على نشاطه الأدبى ، فعمل رئيس تحرير جريدة مرآة الغرب (لصاحبها نجيب دياب) ثم جريدة الهدى (صاحبها نجيب مكرزل) وفى أثناء الحرب العالمية الثانية عين موظفا فى مكتب الأخبار للولايات المتحدة لمدة عامين، وبعدها اعتزل العمل لأسباب مرضية ، أما عن صفاته الأخلاقية فقد وصفه ميخائيل نعيمة فقال: كان ممتازا بأخلاقه، فهو وديع لطيف خجول ، دافىء اللسان ، لا يغتاب، ولا ينم، وهذه الصفات لازمتة حتى نهاية حياته، توفى عام ١٩٤٦.

لم يترك لنا فى رحلته الإبداعية سوى ديوان شعر، أطلق عليه (الأرزاح الحائرة) ورواية مترجمة عنوانها (أسرار البلاط الرئسى)، وقصتان تاريخيتان منشورتان فى مجموعة الرابطة القلمية ، هما: ديك الجن الحمصى والصمصامة^(١)

وعن القصتين الأخيرتين يقول عنهما عيسى الناعورى "تتجلى موهبة نسيب الفنية فى الذبوغ عامة ، وفى القصة التاريخية بنوع خاص، فقد اجتمعت له أسبابها من حبكة قوية ، وخيال مشرق ، مع المحافظة على حصة التاريخ من القصة الفنية"^(٢).

1 - راجع: عيسى الناعورى أدب المهجر ص ٤٠٨: ٤١٣، ود. إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم: الشعر العربى فى المهجر ص ١٩٣، ونادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية ص ٣٥٠: ٣٥٥.
2 - عيسى الناعورى: أدب المهجر ص ٤١.

أما عن ديوانه فقد أثرت حياته المخففة - كثيراً - على إبداعه، فجاء شعره حزيناً شاكياً متبرماً ، معبراً عن إخفاقاته المتكررة ، ومعاناته النفسية والمادية وعن الشقاء والفرق والدموع ، وجاء العنوان معبراً عن هذا ، يقول في قصيدة حديث الشاعر:

باطلا ترجون لنا مفرحا قطعت أطرب أوتارى العبر
فدعوا القلب مع الباكين في مأتم العيش على حال البشر .(١)

وجاء شعره يتطر حزنا وألما ودموعا ، وشاح بنظره عن الجانب المضحك في الحياة ، يقول في قصيدة جلسة طرب:

قلت: دعونى مطرقا حائرا فليس لى في لهوكم مطمع
من لى بأن أطرب والنفس قد أمست على أسماعها برقع
إذا سمعتم فأناس سامع ما ليس يصيبكم ولا يمتع
أبعد من ضجة ألحانكم عاصف أنغام به أرتع (٢)

لقد انكفأ على نفسه ولم يصور حياة الظلم والشقاء للناس ، ولكن جعل نفسه نموذجا لهذا الشقاء والألم ، يقول في قصيدة دعونى وشانى :

قل : افتقرنا فلم نلجأ إلى أحد وقل فجعنا فلم نخضع لأحزان
وقل : عطشنا وكان الماء قسمتنا فلم نرده وعفناه لظمان
وقل : عشقنا فلم يعلم بنا بشر ولا الحبيب ولا فخر بكتمان
وقل : شقينا فلم نخضع لذى صلف ولم نحارب شقاء بابنة ألحان (٣)

1 - حسيب عريضة:الأرواح الحائرة ط نيويورك عام ١٩٤٦ ص ٢٠.

2 - م. نفسه ص ٤٨.

3 - م. نفسه ص ٥٠.

وعلق على هذه القصيدة د.محمد يوسف نجم ود.إحسان عباس بقولهما "نرى أن رومانطيقية نسيب في مبدأ أمرها لم تكن من النوع الضعيف الذي يستجدي عطف القلوب ، وقد ظل هذا الشعور بالقوة حبيبا إلى نفسه حتى حين فارقته القوة ، وغداً ضعيفا" (١).

وجاءت تساؤلاته تعبيراً عن هذه الحيرة ، يقول في قصيدة لماذا؟:

لماذا التناسل والنسل مذى بأن الحياة له قاتله
لماذا غلام يموت وتبقى شيوخ تتقل في العائلة (٢)

وانسحب شعوره المتشائم على شعوره القومي ، فثار في لهجة ناقدة ملتاعة على الضعف العربي الذي حل بالوطن ، يتول في قصيدة النهاية:

- كفنوه وادفنوه أسكنوه هوة اللحد العميق
- واذهبوا لاتتدبوه ، فهو شعب ميت ليس يفيق
- هتك عرض، نهب أرض ، شنق بعض
- لم تحرك غصبة

فلماذا نذرف الدمع جزافاً؟!

- ولنتاجر في المهاجر ، ولنفاخر بمزايانا الحسان
- ما علينا إن قضى الشعب جميعا ، أفلسنا في أمان؟!
- رب ثار ، رب عار، رب نار ، حركت قلب الجبان
- كلها فينا ولكن لم تحرك ساكنا إلا اللسان (٣)

1 - د.إحسان عباس ود.محمد يوسف نجم : الشعر العربي في المهجر ص١٩٦ .
2 - نسيب عريضة:الأرواح الحائرة ص٤٥ .
3 - م. نفسه ص٦٥ .

• وما امتاز به شعر عريضة التلاعب بالأوزان الشعرية ، ليجعل الشعر مزيجاً لطيفاً من الرقة، والغناء، والرثاقة، وكثيراً ما كان يوفق في ذلك، ومن هذه القصائد التي وفق فيها (أنا في الحضيض - النعامي - الملك الأسير) يقول في القصيدة الأولى معبراً عن انقطاع الوصلات الإنسانية بينه وبين الآخرين :

• أنا في الحضيض

• وأنا مريض

• أفلا يد تمتد نحوي بالدوا

• وتبتث في جسمي ملامسها القوى

• أفلا رفيق أو دليل في الطريق... إلخ^(١)

ومن الملامح الفنية في شعر عريضة ، أنه نظم المطولة الشعرية ، في قصيدتين هما (على طريق إرم ، واحتضار أبي فراس) وجاءت المطولة الأولى امتداداً لمذهبه - ومذهب جبران وميخائيل نعيمة - في وحدة الوجود ، والتوحد بين الإنسان والخالق ، وحين اقترب من هذا النور شعر بسعادة وارتياح ، يقول:

فَنُورِق طُودِ التَّجَلَّى ففِي الذَّرَى تَسْتَتِير

إِذَا ارْتَقِينَا الثَّنَائِيَا قَرَبَ إِلَهِه نَصِير

فَنَتَخَطَّى بِبِالْيَقِين مِنْ نُورِ حَقِّ مَبِين

وَنَسْتَقِي مِنْ مَعِين يَفِيضُ أَنْهَارُ حَبِّ... إلخ^(٢)

وفي الثانية صور احتضار أبي فراس في اثنين وسبعين بيتاً شعرياً.

1 - م. نفسه ص ٧٢.

2 - م. نفسه ص ١٧٧.

وتتجلى ثقافته بالأدب الرئسي ترجمته لقصيدتين في الديوان الأولى بعنوان (الصمت) ليتوكشف، والثانية (النوم والمنية) لسولوكوب الرئسي.

٥- رشيد أيوب

ولد رشيد أيوب في (بسكنتا) بلد ميخائيل نعيمة، عام ١٨٧١، ورحل إلى باريس علم ١٨٨٩، أقام بها ثلاث سنوات، ومنها إلى مدينة مانشستر، وبعدها هاجر إلى الولايات المتحدة، أقام في ولاية لويزيانا، ثم إلى نيويورك كعبة شعراء المهجر لم يتسم له الحياة في الغربية، ف قضى أيامه في فقر وألم، وظهرت آثارهما على شعره، وعبر عن همومه وتعبه حاملاً كيسه في البلاد، كباغ جائل في الشوارع منهم من يعطف عليه، ومنهم من يصدّه، وقد لازمه عدم التوفيق كثيراً، ومن أبرز القصائد التي عبرت عن تعاسته قصيدة المسافر، اتصل بزملائه الأدباء كجبران وميخائيل، وعريضة، وإيليا، وتوطدت علاقته بهم وكونوا معاً- كما ذكرنا- الرابطة القلمية عام ١٩٢٠، وظل عضواً بارزاً فيها بعطائه المميز والغزير، والذي يعد صاحبه (رشيد) من أكثر الشعراء عطاءً بعد إيليا أبي ماضي، وقد ترك لنا ثلاثة دواوين شعرية (الأيوبيات عام ١٩١٦- أغاني الدرؤيش عام ١٩٢٨ - هي الدنيا عام ١٩٤٢) توفي في المهجر عام ١٩٥٠. (١)

الديوان الأول (الأيوبيات) يعبر عن مدى تجاوب الشاعر مع مجريات الواقع برح الفنان الذي يعشق الحرية، ويرى في الحرب العالمية الأولى جناية على الإنسانية، ويهتز من أعماقه لما حل بوطنه من مجاعة ونكبة، واقتن ذلك بالغضبة على الأتراك أعداء الحرية، واختفت هذه النغمة في ديوانه الثاني (أغاني

١ - راجع : د.إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية) ص ٢١.

الدرويش) الذي قدم له ميخائيل نعيمة، ويعد هذا الديوان انقلاباً فنياً في حياته
فإنّما به يطلق الواقع، ويعيش في قصور الخيال، لا يطلب من الحياة سوى أن
تمنحه خيمة ناطور، يعيش فيها قانعاً بفقره وعزته، وأصبح الوطن عنده رمزاً
ليوتوبيا ضائعة، وقد وجد في المذهب الرومانسي ما يتفق مع طبيعه وموهبته
وظرفه الحياتية، حيث التمرد والاعتزاز بحرية الفرد، والتحليق في الخيال
ليسترجع الوطن بصورته البريئة، حيث أحلام الطفولة في نداوتها ورقتها، وأحلامه
الوردية على أرض الوطن، وبسائه المرصع بالنجوم، وجدناها في دموعه المذروفة
أيام شبابه حزناً بائساً، يقول في قصيدة ياشبابي:

تائها في الليل بين الصخور عند شاطئ البحر في ضوء القمر
أسأل الأمواج عن أهل القبور ومن الأفلاك استقصى الخبر
وأزور الروض أصغى للطيور عندما غنت وقد لاح السحر... إلخ^(١)

ثم غيرت هذه النبذة الثائرة بعد ذلك، إلى نبذة ساكنة وديعة تجتر أحزنها
فلا نجد في كثير من أشعاره سوى الخنوع والاستسلام، يقول في قصيدة (قصرى):

والذة العيش برعى النجوم ! بين أسى الشاكي ورشف المدام
إذ تطرد الأحلام جيش الهموم إذ تتجلى الآمال تحت الظلام إلخ^(٢)
ومن الملامح الرومانسية في شعره الحب المفعم بالمرارة والألم، والحنين

والوصف الحزين المعبر عن لوعته وأساه، يقول في قصيدة (روضة الحب):

الحب في عينيك آثاره بادية كالأنجم الزاهرة
إذ ليس غير الحب من زارع بنفسجا في أعين فاترة... إلخ

1 - رشيد أيوب: الأبيات ط نيويورك عام ١٩١٦ ص ٣٢.
2 - رشيد أيوب: أغاني النرويش ط نيويورك عام ١٩٢٨ ص ١٥.

ولعله يصف نفسه في تصوير للدريش المشرد ، والمهاجر الغريب ، فلا يبوح
لإنسان بشجوه، وهمومه، ويعانى لواجع الحنين التي ترهف إحساسه ، توحى إليه
بالشجن لكل صوت جميل ، يقول في قصيدة وولى ما عرفناه:

وقفنا عند مراه حيارى ما عرفناه
عجيب في معانيه غريب في مزاياه
له سر بال جواب غبار الدهر غشاه
ووجه لوحتة الشمس غارت فيه عيناه
وإن أصغى لصوت الناي أشجاه وأبكاه
إذا أعطيته شبيها أبت جدواك كفاه ... إلخ^(١)

ومن السمات الفنية في شعره، تأثره بقيم التراث الفنية في بداية حياته
الفنية، في ديوانه الأيونيات "فقد كان مستعبدا للأسلوب الجزل
الرصين ،... وتضطره الأوزان الفخمة إلى انتقال الفخامة... وقد خضع رشيد
في قصائد كثيرة له، لنغمة موشحة لسان الدين بن الخطيب (جادك الغيث
إذا الغيث همى...)وهى موشحة قائمة على نغمات القصيد ،... وكان أكثر قصائده
قائمة على طريقة التخميس ، أو على محاكاة بعض القصائد القديمة، وكل هذه
الأمور تجعله يظهر بمظهر المبتدئ"^(٢).

1 - م. نفسه ص ١٢ .
2 - د. إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية) ص ٢٣٤.

ومن قصائده التي يتجلى فيها الجزلة قصيدة (غروب شمس الحياة) التي

يقول فيها:

دنت المنية وانقضى عمرى ونسيت ما قد كان من أمرى
غابت رسوم في مخيلتى كانت تضيء كأنجم زهر
وخبأ فؤاد كان مشتعلا بالحب مثل النار في صدرى
ماذا إذا رفع الحجاب غدا ألقى وقد أصبحت في القبر.. الخ^(١)

وإن حدث تطور في شعره في ديوانه الثانى ، حيث تجاوز هذه الفخامة ومال شعره للرقمة والرتاقة ، والخيال البعيد ، متأثرا بالروح الرومانسية ، ولكنه وقع في عيب خطير تمثل في انسياقه وراء القصيدة ، دون أن يعرف لها حدوداً صارمة أو يدرك ما الذى يريد منها أن تؤديه ، فتجىء القصيدة مبهمة... لأن القصيدة لا تخضع لانفعال عميق ، ولا تلتزم الدقة في التعبير، وهذه النقيصة تجعل القصيدة عند رشيد مبهمة المقاطع ، مختلطة الأعضاء ، وتتركها متداخلة متشابكة^(٢) .

نجد هذا الاسترسال في قصائد كثيرة، دون أن نرى جديدا فى الرؤية أو صياغة لصورة فنية موحية ومؤثرة ، من هذه القصائد قصيدة الربيع التي يقول فيها :

عادت إلى الأشجار أوراقها وعادت الدنيا تثير الشجون
تذكر المسكين وادى الحمى ونام بالأحلام تحت الغصون
سرى عليه اليوم ريح الصبا وأيقظته من سبات الجنون

1 - رشيد أيوب : الأبيات ص ٤٨ .

2 - راجع : عيسى الناعورى أدب المهجر ص ٢٣٥ .

تحرشنى بالورق وأسـمعيه الحـفـيف
ردى إليه الرمق من قبل يأتي الخريف.. إلخ (١)

ومن الظواهر الفنية في شعره التجديد في الشكل العريض للقصيد العربية
متجاوزاً الشكل الخليلي ، يقول في قصيدة هل تذهبين؟:

ياهند قد فسد الزما ن وراح قول المرجف
فهلـم نذهب في الظلا م إلى الجبال ونختفى

هل تذهبين؟

وهناك نسرح مثمما الأطيـار تسرح في الفضا
متوكلين على المقـا در صابرين على القضا

كالزاهدين

أو نمطى طيارة ونطير في الجو الفسيح
متمتعين كما نشا ء بـحبنا الصافى الصحيح

في كل حين ... إلخ (٢)

وهذه القصيدة تعكس لنا ظاهرة أشـرنا إليها من قبل ، وهى التجديد
الموسيقى ، باتخاذ شكل الموشح ، والتنوع في القافية وحرف الـرى (هنا الفاء
والنون والألف والحاء).

ومن الظواهر الفنية في شعر رشيد أن شعره لا يتعرض للتأمل العميق
في الحياة، والكون بالأفكار الفلسفية ، فليست له رؤية خاصة – مثلاً – عن الغاب

1 - رشيد أيوب: هى الدنيا طـ نيوبورك عام ١٩٣٩ ص ٩٩.

2 - رشيد أيوب: أغاني الترويش ص ٤٧.

والزمن، والسعادة، والخير، والشر، والنفس الإنسانية، كما وجدنا عند جبران ونسيب، وإيليا، وميخائيل نعيمة، فمثلاً يقول في قصيدة مرور الزمان :

لماذا الضجيج وماذا الخبر فقالوا: قريبا يمر الأمير
فلما رأيت جميع البشر يضحون جهلاً لأمر حقير
وقفت وحيدا بعين الفكر أراقب وحدي مرور الزمن. إلخ (١)

فلا نجد رؤية ولا فلسفة للزمن، كما يقول أحمد شوقي - مثلاً - عن الزمن :
دقات قلب المرء قائمة له إن الحياة دقائق وثوان
وقوله - أيضا - في مسرحية مجنون ليلى :

وقد يهون العمر إلا ساعة وتهون الأرض إلا موضعا
٦- ندرة حداد

ولد ندرة حداد في حمص عام ١٨٨١، ولم يتخط في حياته في المرحلة الابتدائية حتى هاجر إلى أمريكا عام ١٨٩٧، حيث عمل بالتجارة والصحافة هناك ثم أصبح عضواً عاملاً في الرابطة القلمية، وفي عام ١٩٤٣ جمع أشعاره التي نشرها في الجرائد والمجلات من قبل مع مجموعة قصائد أخرى، ونشرها في ديوان عنوانه (أوراق الخريف) وهو الأثر الأدبي الوحيد الذي تركه لنا. (٢)

ويعبر عنوان الديوان عن حياة صاحبه ونفسيته "وروحه الرقيقة المتأثرة بمآسى الحياة، وما ينتابها من ظروف وأحوال، لاتبعد جميعها عن أن تكون

١ - م. نفسه ص ٦٦.
٢ - د. إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية): ص ٢٦٧.

محزنة جالبة للأسى ، مثيرة للألم ، ولكن ندرة كان ذا نفس راضية مطمئنة ، يجب المسألة ، ويبعد عن المشكلات والتعقيد ،.. ولم يضمن الحقد والكراهية" (١) .

وقد دار شعره في ديوانه السابق في محاور أربعة:

الحنين إلى الوطن ، والنزعة الإنسانية ، والتسامى النفسى ، والتأمل

الريحي.

أما عن المحور الأول : (الحنين إلى الوطن) فقد ظل طيلة حياته يتذكر أهله وبلاده

ويحن إليه حينما مؤلماً للعودة إلى أحضانها ، ومن هذه القصائد قصيدة ليالى

الصفاء (التي يحن فيها إلى مجالس الصفاء والحب على جنباتها) وقصيدة نحن

فى الغربة، والتي يعبر فيها عن حاله في الغربة. وقصيدة أغنية الخريف التي يعبر

فيها عن عدم ائتلافه وانسجامه بعيداً عنها ، يقول في القصيدة الأخيرة:

في كل أسفارى

ما قيل مرحباً

للأهل والدار

إلا وقلبي صاباً

صدد وإضراب

ما عنك أرض الشام

روح وأعصاب.. إلخ (٢)

هوأك منذ الفطام

ويقول في قصيدة جنة الدنيا :

بغضا ولا ضرباً من السلوان

لاتحسبى بعدى عن الأوطان

ذكر الأحنه زاد في الخفقان إلخ (٣)

كيف السلو ولى فؤاد كلما

1 - د. نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية ص ٣٦٢.

2 - ندره حداد: ديوان أوراق الخريف ط نيويورك عام ١٩٤١ ص ٢٣.

3 - م. نفسه ص ١٠٢.

أما عن النزعة الإنسانية التي تتضمن حب الناس جميعا ، دون التمييز بين غنى أو فقير ، تطالعنا هذه الروح الإنسانية في كثير من قصائده، مثل قصيدة سرمعى ، وقصيدة أنفق فضول المال ، التي تدعو إلى الزهد ، وترك متاع الدنيا بما فيها من مال زائل ، يقول في القصيدة الأخيرة:

ماذا يفيد المرء لو أنه جمع مال الأرض في عمره
أليس ما يجمعه ذاهبا إلى الثرى إن بات في قبره
فيا كثير المال من غيره ويا قليل البذل من يسره
أنفق فضول المال حيا تتل شكر الذى أثريت من فقده
فحاتم ما عاش في عصرنا لو لم يجد بالمال في عصره إلخ^(١)

وينصح ابنه (وليم) بالسخاء والجود ، يقول في قصيدة (إلى وليم):
أجمع المال ما استطعت ولا تنس العطساء
وإذا أخفقت سعيها لا تقل دهري أساء
كاننا في العمر نلقى حسب الفعل الجزاء.. إلخ^(٢)

ومن رؤيته الإنسانية دعوته إلى التحرر من الانتماء إلى دين بعينه، لأنه يرى في الانتماء إلى دين معين سبب تفكك البشرية، فقد كان يرى شيئين يثيرانه في الطفولة: الفقر والتعميد، فقال:

- يابن عمى أنا ممن وجدوا الأديان علة
- كل يوم بين أهل الدين تجهيز وحملة
- ملة تطلب أن تجتاح باسم الدين ملة

1 - م. نفسه ص ١١٦.

2 - م. نفسه ص ٦٤.

• فإذا أحببت هذا الطفل أن يحسن فعلة

• صنه من دين انقسامات و أوهام مضلة... إلخ^(١)

ومن شعره التأملي قصيدتان بعنوان (يا نفس - ضريح الشاعر) يستهل

قصيدة ضريح الشاعر بقوله:

ألا ما لهذى القباب تلوح لنا كالأقصور
أليست تخاف الذهاب كما خاف من القبور
أترب وارى التراب وفان على مائت؟
أتجهل أنا خراب ولا حصن بالثابت... إلخ^(٢)

فهو يرى الحياة ظلًا زائلًا، وأن القباب العاليات ستزول يوما ويوارىها التراب، لذا لا ينبهر المرء برئيتها، ولا يحزن لفقدانها والعيش في سكن متواضع وبعدها - في القصيدة - يرى ما يوحى به القبر من عظات وحكم، حتى يصل إلى النهاية، حتى يقول:

كذا نحن نمضى ككوكب إلى أين؟ لأعلم!

ومن الملامح الفنية في الديوان - كما ذكرنا - التسامى النفسى، وتصورها

(الشاعر) في صاحب النفس الإنسانية السامية، وقد عنى بها نفسه، في قوله:

هو راض بحاله ظلم الدهر أم عدل
هو راض عن الزمان راضى بما يفعل
هو في الصبر والرضا والوفا مضرب المثل
هو في الحب دمعة ليتها دمعة الجذل... إلخ^(١)

1 - د. إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم: الشعر العربى في المهجر (أمريكا الشمالية) ص ١٨٤: ١٨٥.

2 - ندره حداد: ديوان أوراق الخريف ص ٩٨.

ولعلنا نلاحظ في شعره بعد عرض هذه الأبيات البساطة والوضوح، وافتقار العمق الفني ، ومرجع هذا افتقار الشاعر للثقافة العميقة التي تستثير موهبته وتفجر طاقته الإبداعية ، فلم يكمل الشاعر تعليمه كما مر بنا، ولم يكلف نفسه بالاطلاع على ثقافة الآداب الأخرى كما فعل جبران، وميخائيل نعيمة وعريضة فجاء شعره بسيطاً مسطحاً، ولذا فلا غرابة أن يقول عنه د.إحسان عباس ود.محمد يوسف نجم "لولا الاغتراب عن الوطن ، والانضواء تحت لواء الرابطة القلمية والتعلق بركاب جبران ، لظلت الطاقة الشعرية عنده كامنة في مستقرها وصاحبها قانع ببعض أنواع الزفرات والتعبيرات الحسية ، فليست هنا حماسة أبي ماضي وحدته، ولا ارتفاع جبران وهبوطه، ولا هذا التأمل الذي تنقله أشعار نعيمة" (٢).

٧- أمين الريحاني

ولدأمين فارس أنطون الريحاني (نسبة إلى نبات الريحان) في قرية الفريكة بلبنان عام ١٨٧٦ ، وبها توفى عام ١٩٤٠، ومابين هذين التاريخين عاش أمين الريحاني متنقلاً بين الشرق والغرب، تلقى تعليمه الأولى في قرينته ، ثم انتقل إلى مدرسة المعلم نعوم مكرزل (صاحب جريدة الهدى في أمريكا بعد ذلك) كما أشرنا من قبل، سافر إلى أمريكا وهو في الثانية عشرة من عمره، مع عمه (عبده) ومعلمه (نعوم مكرزل) هناك التحق بمدرسة راهبات المحبة ، ليتعلم اللغة الإنجليزية مكث فيها أكثر من عام، ثم عمل مع أبيه وعمه في التجارة ، وفي

1 - م. نفسه ص٦٧.
2 - د.إحسان عباس ود. محمد يوسف نجم : الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية)ص١٢٣.

السابعة عشرة من عمره، انصرف للتمثيل المسرحي ، وراح يجوب أرجاء الولايات المتحدة مع فرقة تمثيلية، نحو ما يقرب من ثلاثة شهور، وبعدها عاد للعمل في التجارة مع أبيه وكتابة المقالات التي بدأ ينشرها في جريدة الهدى التي أنشأها نعوم مكرز في نيويورك دخل كلية الحقوق ولم يستمر بها، وعاد إلى لبنان سنة ١٩٣٨ ، درس قواعد اللغة وحفظ كثيرا من الشعر، واشتهر بالكتابة والخطابة.

وبعدها عمل معلما للغة الإنجليزية في قرية (قرنة شهبان) القريبة من الفريكة، رجع بعدها إلى أمريكا، وبعدها رحل إلى الشرق في رحلات قومية يدعو فيها إلى الوحدة، وكانت هذه الرحلات نتيجة إطلاعه على كتابين باللغة الإنجليزية، (الأبطال لإمرسون كارايل ، وقصر الحمراء فى غرناطة لأرفين) يشيدان بتاريخ العرب وحضارته، وهنا شعر بالزهو، وتغيرت مشاعره اتجاه العرب من كراهية إلى حب، ومن تقليل من شأنهم إلى اعتزاز، ومن هنا كانت رحلاته التي بدأها عام (١٩٢٢ حتى ١٩٣٨ م) زُر خلالها نجدا ، والحجاز، واليمن ومصر وفلسطين، والمغرب، والأندلس، وتمخضت عن الكتب الآتية (ملوك العرب - قلب العراق - قلب لبنان - المغرب الأقصى) وله كتب أخرى منها الثورة الفرنسية - التطرف والإصلاح - زنبقة الغور - تاريخ نجد الحديث الريحانيات أنتم الشعراء رسائل أمين الريحاني، وفاء الزمن، وجوه عربية وغربية، ثلاث خطب وكتب بالإنجليزية (رباعيات أبي العلاء المعرى- كتاب خالد - أنشودة الصوفيون - لزوميات أبي العلاء- دريس في ألف ليلة وليلة -جدة -كريمة... الخ.)^(١)

١ - راجع الزركلى: الأعلام ١/٣٥٩ : ٣٦٠.

وفى فترة إقامته في أمريكا بدأ يتعرف على جبران ورفاقه الآخرين ولم يشارك في تأسيس الرابطة القلمية، ولم يلتحق بها لخلاف بينه وبين جبران كان أول ما كتب الشعرا المنثور متأثراً بالكاتب الأمريكي وولت ويتمان وقد راقته هذه الطريقة الريحاني فاستهوتها، فكتب عدداً من القطع الشعرية المنثورة، ونثرها في تضايف الريحانيات، وقد جمعها أخوه ألبرت، فيما بعد في كتاب مستقل أطلق عليه (هتاف الأودية) وراق هذا الأسلوب جبران فكتب على نهجه، لأنه أجاد فيه، وكتب كل كتبه في أسلوب رائق شفاف، غنى بالخيال والأحاسيس الدافئة الهامسة، ومن هذه الكتب - كما ذكرنا - النبي، ويسوع ابن الإنسان ودعوة وابتسامة، والمجنون، والسابق... إلخ.

اتصف أمين الريحاني في كتاباته بالثورة والتمرد على ما يعاينه مجتمعه من صنوف الجهل والجور، وما يخضع له شعب بلاده من عبودية لرجال الدين ورجال الإقطاع، وقد تهكم في كتاباته من رجال الدين الذين اتهموا بالإلحاد وهدم الدين، وزرع الشكوك في نفوس الشعب، ووقفت في وجهه الكنيسة، ولم تسمح بقراءة كتبه، ولا تداولها، وحارب في كتاباته القومية والاستعمار، والتفرقة والتباعد بين أبناء الوطن العربي، بل قام بدور إصلاحي فاعل في حياته، فتوسط بين ملك نجد (عبد العزيز آل سعود) وأمير الكويت، وأصلح بينهما، وسعى للإصلاح بين ملك الحجاز (الحسين بن علي) والشريف الإدريسي، ليعقد بينهما محالفة أخوة ومودة وهكذا جمع الريحاني بين الأدب والإصلاح الاجتماعي، والدعوة

الوطنية والقومية، فكان في ذلك رسولاً أميناً يؤتى رسالة الحب والخير والتعاون إلى المجتمع العربي كله. (١)

٨- نعمة الحاج

ولد في قرية غرزيز ببلبنان في أغسطس عام ١٨٨٩، وهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وهو في الخامسة عشرة من عمره، فعمل بالتجارة، وأكمل دراسته اللغوية والأدبية بنفسه، واكتفى بالتعليم المنظم بما تلقاه في قرينته حتى الرابعة عشرة من عمره، وفي المهجر تعرف على الأدباء المعروفين، وتنوعت قراءاته وكتب في جريدة السائح التي أسسها عبد المسيح حداد عام ١٩١٢ في نيويورك عام ١٩١٢ وتفتحت موهبته الشعرية فأصدر ديوانه الأول (ديوان نعمة الحاج ج١) في جريدة الهدى (لصاحبها سلوم مكرزل) بنيويورك عام ١٩٢١، وقدم له الشعر إيليا أبو ماضي، الذي أشاد بموهبته الفنية، ووصف معانيه بالكواكب المشرقة وألفاظه بدموع الفجر المترققة، وموسيقاه المرقصة (أعتقد أنه يقصد بوصف موسيقاه بهذه الصفة، لاستخدام الشاعر للأوزن القصيرة والمجزوءة، ذات النغمات الهادئة) وفي عام ١٩٢٩ أصدر ديوانه الثاني في بيروت، ودعا (من نافذة إخيال) وعندما قدم أحمد زكي أبو شادي إلى نيويورك، أسس رابطة أطلق عليها (رابطة مينرفا) شارك معه في تأسيسها، ولكن نشاط هذه الرابطة توقف بعد وفاة أحمد زكي أبو شادي (عام ١٩٥٤)، الذي وصف نعمة الحاج بقوله: إن نعمة الحاج من أولئك الشعراء القلائل... لأن شعره ترجمة لحياته بالأسلوب الفني الذي

١ - راجع: أدب المهجر ص ٣٥٣ وما بعدها.

يتذوقه، وهو أسلوب رومانسي حيناً، وتباعى حيناً آخر، ولكنه ليس محاكاة متعمدة لأحد.

اتصف نعمة الحاج في شعره بالهدوء ، فلا نعرف فيه افتعالاً ، ولا جعجة ولا فوران ، ولا اهتمام بالزينة والمحسنات البديعية، فصياغته سهلة ، والأفكار تتوالى في هدوء ، مترققة في يسر، لا تعقيد ، ولا تكلف فيها، وأغلب الديوان تعبير عن حياته، ووصف للطبيعة، والحنين إلى الوطن، وقليل من التأمل الروحي في الحياة والكون، ويغلب على ألفاظه وعباراته التقليد، والاستقاء من المعجم القديم. (١)

ونقف على نماذج من شعره تصور منهجه الشعري ، وسماته الفنية والأسلوبية، ففي قصيدة (شطح الزمان)وهي من الشعر الوصفي التأملى، تعبر عن مشاعر الشاعر عندما بدأ المشيب يحل برأسه، منذراً بالنهاية ، مع استمرار عجلة الزمن ، وعدم توقفها عن الدوران، يقول:

أين الربيع من الخريف؟	ذهب التليد مع الطريف
شطح الزمان فلا رجا	ء بالرجوع أو الوقوف
سارت ركائبه بنا	والسير ينذر بالحتوف
تطوى إخصيب إلى الجدي	ب على حذاء كالغريق
بلغت إلى حيث العيو	ن ترى ذرى الطود المنيف

1 - راجع د.محمد عبد المنعم خفاجى قصة الأدب المهجرى ص٧٠٧وعيسى الناعورى :أدب المهجر ص٣٨وما بعدها.

يا للمشيب وقد سطا
علم الشتاء تلوح فيه
أين الشباب؟ أين ذا
حالت إلى اللين الصلا
ويقول عن قضية فلسطين:

فلسطين شاهدنا إنها
علانية صلبت كالمسيح
فيا عجباً كيف دار الزمان
ويقول مناجياً أمه:

ذكرتك إذ جاء الشتاء وقره
فحنت إلى الدفء القلوب وشاقها
فيا أم، يا نبع الحياة فؤادها
يا أم، يا ملجأ الأمان، وماؤها
تزعزع أركان وتهوى شوامخ
ويقول مناجياً أوراق الخريف المتناثرة ممتانلاً:

وقولى: لمن دأبه أن يرى
إذا نعب البوم في روضه
وما العمر إلا بما فيه من
ويقول في الحنين إلى الوطن:
تذكرت أهلى في النوى وبلاديا

سطو القوى على الضعيف
طلائع الحدث المخيف
كالعزم كالحمد الرهيف
بنة والغضارة للنشوف

فريسة ذى نهم مجرم
وبيعت كيوسف بالدرهم
وصال البغاث على القشعم؟!!

سهام إلى الأكباد يشققن أضلعا
تذكر حضن الأم إذ طاب مضطجعا
إذا جف نبع كان للحب منبععا
يرى القلب فيه في الملمات مفزعا
ولكنه في القلب لن يتزعزعا

من العيش جانبيه الأسودا
فكم بلبل فوقها غردا
مفيد، وليس بطول المدى
وقد طال شوقى للحمى وبعاديا

ويا حبذا تلك الربوع الزواهيا
ويمسى لها دمعى على الخد جاريا
كما اهتر غصن مال للريح حانيا
ولا الدمع يجدينى ولا القلب سالبا
أودع مشتاقا إلى العود ثانيا
يظنان كل الظن أن تلاقيا^(١)

تذكرت هاتيك الربوع وأهلها
تطير لها نفسى من الوجد والجوى
وتهتز من شوقى إليها جوارحى
فلا الشوق يدنينى ولا الفكر نائيا
وداعا وداعا يابلادى فإننى
وقد يجمع الله الشتيتين بعدما

٩- عبد المسيح حداد

أخو الشاعر ندره حداد وأخو زوجة الشاعر نسيب عريضة، وصاحب جريدة السائح التي رافقت نشأة الرابطة القلمية، وحركتها الأدبية، والتي نشرت على صفحاتها إبداعات الأدباء العرب - خاصة أعضاء الرابطة القلمية - وآرائهم النقدية.

ولد (عبد المسيح حداد) في مدينة حمص عام ١٨٩٠، وتعلم في مدارسها الابتدائية، ثم في مدرسة الناصرة الروسية، والتحق بأخيه ندره حداد في أمريكا عام ١٩٠٧، وأنشأ جريدة السائح عام ١٩١٢، كان أول المتحمسين لإنشاء الرابطة القلمية، وكان عضواً عاملاً بها، وظل يجاهد من أجل نشر إبداعات أدبائها وآرائهم النقدية، بعد إغلاق مجلة الفنون التي كان يمتلكها نسيب عريضة لظروف مادية كما مر بنا، وقد مدحه د. أحمد زكى أبوشادى، ووصفه بالذكاء الخارق وبروحه الفكرة، وكان يدعى في الولايات المتحدة من زملائه في المهجر ب(مارك توين العرب).

١ - هذه النماذج من كتاب أدب المهجر لعيسى الناعورى من ص ٤٤٢: ٤٤٣.

لم يؤلف في حياته في المهجر سوى كتاب واحد (حكايات مغترب) عام ١٩٢١ وهو عبارة عن قصص تصور حياة العرب في المهجر، ولم تكن هذه الحكايات على قدر من القيمة الفنية، بقدر تصويرها لحياة العرب هناك، وطبعت له وزارة الثقافة بدمشق كتاباً آخر بعنوان (انطباعات مغترب) عام ١٩٦٢ بعد زيارته لسوريا في ذلك الوقت، ولم يقتصر عطاؤه الأدبي على هذين الكتابين، ولكن له مقالات كان يكتبها في باب (ألحان وأشجان) في جريدة السائح التي ظل يحرر بها ويكتب افتتاحيتها فترة ما يقرب من خمسة وأربعين عاماً، لو جمعت هذه المقالات لكان لها القيمة في تقييم إبداعاته، ووضعها في مرتبة تليق بعطاءه الفني.

أما كتابه حكايات مغترب فهو يشتمل على إحدى وثلاثين قصة، يتناول في المقدمة: "منذ دخلت أمريكا منخرطاً بين عالمها السوري ونفسي أرى أشكالاً وأوضاعاً اجتماعية، وصوراً شتى لحياتنا السورية الأمريكية، وكنت كثيراً ما أسأل نفسي: متى يا ترى يتحرك قلم أحد كتابنا فيدون هذه المشاهد، لحمل الناس على درس أسرارها".

ولقد ظلت جريدة السائح في إصدارها حتى عام ١٩٥٧، رغم رحيل الأدباء الأفيان (جبران عام ١٩٣١، ورجوع ميخائيل نعيمة إلى أرض الوطن عام ١٩٣٢، ووفاة رشيد أيوب عام ١٩٤١، ووفاة نسيب عريضة عام ١٩٤٦، وندرة حداد عام ١٩٥١، ورغم بيع حقوق الجريدة لجريدة البيان) التي كان يمتلكها صديقه (راجي الظاهر) عام ١٩٥٧ إلا أنه ظل يكتب بها، حتى وفاته (١).

١ - راجع: عيسى الناعوري: أدب المهجر ص ٢٩ وما بعدها.